

عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

فِي تَوْجِيهِهِ لِأَرْبَابِ وَالْفَنَاءِ لِأَرْبَابِ

الدكتور جميل سعيد

- ٣ -

استاذ بكلية الآداب - جامعة بغداد

عمر يعجبه الكلام البليغ الحسن اللائق في موقعه . وقد ينظر الى
والكلام البليغ الرجل ويراه ضئيلاً دميماً ، وعمر يعجبه من الرجل ان يكون ضخماً
ذا مهابة ، قالوا : وكان اذا نظر الى عمرو بن معد يكرب ، وكان
الرجل ضخماً كالجمل في جسامته ، قال : الحمد لله الذي خلقنا وخلق عَمْرُاً «
تعجباً من عظم خَلْقِهِ (١) ، وشكراً لله . نقول : كان يعجبه الرجل الضخم المهيب ،
وتعجافى نفسه عن الرجل الضئيل الدميم ، وما هو إلا ان يتكلم الرجل الضئيل الدميم
ويعجب عمر بكلامه حتى يغير عمر رأيه فيه ، وينظره بغير العين التي نظره بها . نظر
الى علباء (٢) بن الهيثم السدوسي ، وكان علباء اعور دميماً ، فام يعجب عمر منظره .
وكلمه علباء ، وكان بارعاً بيّناً . فلما رأى براعته وسمع بيانته راح يصعد بصره فيه
ويُحدره ؛ كانه يتعجب من منطقته ، فاما خرج علباء ، قال عمر :
« لكل اناس في جُمَيَّاتِهِمْ خُبْرٌ »

وهذا البيت تمثّل به عمر هو الشطر الثاني من البيت :

قَالَيْتَ لَا أَشْرَى بَعِيرًا بِغَيْرِهِ لِكُلِّ انْأَسٍ فِي جَمِيلِهِمْ خَبْرٌ

(١) الأغاني ٢١٣/١٥ .

(٢) علباء بن الهيثم السدوسي : شجاع من الفصحاء ، شهد الفتوح في عهد عمر ، وسكن الكوفة ، وكان
سيداً بها . وهو اول من دعا الى علي بن ابي طالب ، واستشهد في وقعة « الجمل » . الإصابة ؛ ت : ٦٤٥١ .

وهكذا تراه غيّر رأيه في الرجل حين اعجبه منطقته (١) .

ويقول الجاحظ (٢) : « ونظر عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الى هَرَم (٣) ابن قُطَيْبَة ، ملتفاً (٤) في بت في ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقلّته في منظره . وكان يعرف تقديم العرب له في الحكم والعلم ، فأحبّ ان يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا اليك اليوم ، أيّهما كنت تنفر ؟ يعني : علقمة (٥) بن عُلاثة وعامر بن الطفيل (٦) ، فقال : يا امير المؤمنين . لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جدّاعة . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد اعجبته بداهته : « لهذا العقل تحاكت العرب اليك »

ويقول الجاحظ (٧) ايضاً : « ونظر عمر الى الأحنف وعنده الوفد (٨) ، والأحنف (٩) ملتف في بت له ، فترك جميع القوم واستنطقه فلما تبعّق منه ما تبعّق (١٠) ، وتكلّم بذلك الكلام البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهب لم يزل عنده في علياء . ثم صار الى أن عمّد له الرياسة ثابتاً له ذلك الى ان فارق الدنيا »

(١) انظر الجاحظ ؛ في « البيان والتبيين » ؛ ٢٣٨/١ .

(٢) انظر الجاحظ ؛ في « البيان والتبيين » ؛ ٢٣٧/١ .

(٣) هرم بن قطبة بن سيار الفزارى : من قضاة العرب في الجاهلية . اسلم في عهد النبي وثبت في الردة . كان من الخطباء البلاء ، والحكام الرؤساء . وكان اذا حكم بين الخصمين او المتنافرين سمع في كلامه « الأعلام للزركلى » .

(٤) البت : كساء غليظ مربع .

(٥) علقمة بن علاثة بن عوف الكلابى العامري . كان في الجاهلية من اشراف قومه . قالوا : وفد على قيصر . ونافر عامر بن الطفيل . واسلم ثم ارتد في زمن ابي بكر وعاد الى الإسلام . ولاء عمر « حوران » فنزلها الى أن مات . وكان كريماً . لمطبعة قصيدة في مدحه . الزركلى : ٤٨/٥ . والإصابة ؛ ت : ٥٦٧٧ .

(٦) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري : فارس قومه واحد فتاك العرب وشعرائهم . ولد ونشأ بنجد ، وادرك الإسلام شيخاً . وفد على الرسول الكريم فدعاه الى الاسلام فاشترط ان يجعل له نصف ثمار المدينة وان يجعله ولي امره من بعده ، فردّه الرسول الكريم - فات في طريقه قبل ان يبلغ قومه . الأعلام - للزركلى : ٢٠/٤ .

(٧) البيان والتبيين : ؛ ٢٣٧/١ .

(٨) الوفد : هو وفد اهل العراق ؛ البصرة والكوفة . وخبر هذا الوفد ، وبه حديث الأحنف في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ؛ ج : ٢ ص : ٦٤ .

(٩) الأحنف : هو الأحنف بن قيس : سيد تميم ، واحد العظماء الشجعان الفاتحين . يضرب به المثل في الحلم . شهد الفتوح في خراسان . وفد على عمر في المدينة ، وتكلم عنده ... فقال عمر : هذا والله - السيد ! هذا والله السيد ! . قال الأحنف : فاذلت اسمعها بعد . وتوفي سنة : ٧٢ هـ .

(١٠) تبعق ؛ في القاموس : « الانبعاق ؛ ان يتبع عليك الشيء فجأة وانت لا تشعر . وانبعق المزن : انبعج بالمطر . وانبعق في الكلام : اندفع فيه ، كتبعق واتبعق » .

ويبدو ان الجاحظ اهتمل ايراد حديث الأحنف هذا ، لشهرته بين الناس ، وان الجاحظ نفسه كان معجباً بحديث هؤلاء الثلاثة . وحسبك من اعجابه بحديث الأحنف أن يقول في وصفه : « فلما تبعق منه ما تبعق وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب ... » ولعلَّ الجاحظ لم يجد ابلغ من عبارته هذه في إطرء كلام الأحنف هذا .

وروا أن عمر سمع قول طرفة بن العبد (١) ، وقد بين أموراً ثلاثة هي التي تحسب اليه الحياة ، ولولاها لم يحفل متى قام عودده عنه ، ومات ، سمع قوله :

وجدك لم احفل متى قام عودى (٢)

فمنهن سبتي العاذلات بشربة
كئيت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرى اذا نادى المضاف مُحنباً

كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن ، والدجن مُعجب
ببهكنة تحت الطراف المعم

فقال عمر ، حين سمع هذا كراً ما يجب اليه الحياة : « لولا أنى اسير في سبيل الله ، واضع جنبي في التراب ، واجاور قوماً يلتقطون طيب القول كالمانعة طيب الثمر لأحببت أن اكون قد لحقت بالله » (٣) . هذا هو مقام الكلام الجميل عنده ، وهو واحد من امور ثلاثة هي احب ما في الحياة اليه .

وتقرأ سيرة المسلمين الأوائل ، ولا تكاد تجد بينهم من اسلم على النحو الذي اسلم عليه عمر .. كان — رضى الله عنه — من اشد المعاندين للاسلام والمسلمين ، وما هو

(١) ابن الجوزي ؛ سيرة عمر بن الخطاب ؛ ص : ١٦٣ .

(٢) شرح القصائد العشر — للتبريزي ؛ ص : ٣٤ طبعة كارلس لايل . قام عودى ؛ عوده : من يحضر عند موته في مرضه وينوح عليه . والكئيت من الحمر : التي تضرب الى السواد في لونها . ومتى ما تعل بالماء تزبد : اي متى ما تمزج به تزبد ؛ لأنها عتيقة . والمضاف : من اضافته الهموم . والمجنب : فرس اقنى الذراع ؛ وهي من صفات الجيد من الخيل . والسيد : الذئب . والغضا : شجر ، وذئابه اخبث الذئاب . ونبهته : هيجهته . والمتورد : الذي يطلب أن يرد الماء .

والدجن ؛ قيل هو الندى والمطر الخفيف ، وقيل : هو الباس الغيم السماء . والبهكنة : الجارية التامة الخلق . وتحت الطراف ؛ ويروى : تحت الجباء . والمعمد : اي ذى العمدة .

(٣) ابن الجوزي ؛ ص : ٩ .

الا ان استمع للقرآن الكريم حتى فعل في نفسه ما لا يفعله السحر . يروون عنه انه قال : « خرجت اتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم — قبل ان اسلم — فوجدته قد سبقني الى المسجد فاستفتح » الحاقّة « فجعلت اتعجب من تأليف القرآن ، قال : والله هذا شاعر كما قالت قريش ، قال : فقراً : « إنه لقولُ رسولٍ كريم ، وما هو بقول شاعر ، قليلاً ما تؤمنون » قال : « فقلت : كاهن » ، قال : « ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين » ... الى آخر السورة قال : فوقع الإسلام في قلبي » (١) .

ولك ان تنظر في تعبيره : « خرج يتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم » يريد ان نفسه حميت بل غليت بالعداوة للرسول الكريم والإسلام ، حتى خرج يتعرض للرسول — صلوات الله عليه — ويبدو انه كان يعرف اين يلقاه ، فقصده المسجد لعلمه انه سيلقه هناك .

وتنظر في حاشيته حين سمع الرسول الكريم قد استفتح « بالحاقّة » قد اخذته روعة القرآن ، ونسيّ انه إنما خرج ليتعرض للرسول الكريم ، قالوا : « فسكت وخنس حتى اتمّ الرسول الكريم السورة ، او كاد » .

ويروون في سبب اسلامه روايات اخرى (٢) منها : انه قرأ صدرّاً من سورة « طه » عند اخته فاطمة ، وكانت اسلمت هي وزوجها قباة — حتى اذا انتهى الى قوله تعالى : « ... إنني انا الله لا اله إلاّ انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري » قال : دلّوني على محمد ! ولا نعجب ان نراه يؤخذ بتأثير هذه السورة الكريمة التي تبدأ بحرفين منقطعين هما : طا — ها ؛ يقرعان السمع بنغم يتسق مع نغم السورة في فواصلها ، ويوحيان بشئ من الغموض يبهت السامع ويوقنه موقف المنصت المتحير ، المنتظر لما يجي بعدهما مما عساه يكشف للسامع بعض هذا الغموض المحير ... ثم يجي بعدهما ما يعذر القارئ على خشوعه وحيرته من هذا القرآن الذي سمع . إنه تذكرة لمن يخشى واذ تنزيل ممن خلص الأرض والسموات العلّى ... وايّ عظمة وراء هذه العظمة ! ؟ . لقد مرّ بنا ان نفس

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٣٦٤/١ ، وابن الجوزي ؛ في : « سيرة عمر بن الخطاب » ؛ ص : ٩-١٣ .

(٢) انظر مقالنا السابق عن « عمر بن الخطاب في سيرته الأدبية » ، في المجلد السادس والعشرين .

عمر يعجبها العظيم الشجاع من الناس ، وقد اعجبته خِلافة عمرو بن معد يكرب ؛ لعظمته وشجاعته ، فكيف بإعجابها بهذا العظيم الذي خلق الأرض والسموات العُلى ؟! .
ثم انظر الى هذا العظيم الذي كانت الرحمة اولى صفاته ، وأنته « الرحمن » . وصفة الرحمة هذه هي الصفة التي يحبها عمر . ونحن نقرأ اخبارها في سيرته من أول حياته ، الى ان فارق الدنيا . . .

ثم تتوالى الآيات بمعان تفصيلية تزيد في صفات هذا الرحمن الجبار قوةً وجلالاً « له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى » ثم يزيد سبحانه — بأنه فوق أن يملك كل شيء ، انه عالم بما في النفوس ؛ انه عالم بالسّر وما هو اخفى من السّر « وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السّر وأخفى » ... ثم وراء هذا انّ صفة الألوهية قد اختصت به وحده . ثم تأخذ السورة الكريمة بقصص يأخذ السامع بما فيه من حيرة موسى ، وبعظمة الله جلّ جلاله ... وأهلّ عمر رأى في حيرة موسى شبيهاً بحيرته .. قالوا : حتى اذا بلغ من التلاوة : « إني انا الله لا اله الا انا فاعبدني » صاح : دلّوني على محمد ! فقال له خباب (١) بن الأرت — وكان معهم . — هو في بيت عند الصفا ، معه نفر من اصحابه (٢) .

وكان عمر يحفظ القرآن ، وكان حفظه قريبين من نفسه . « وعن عمر والقرآن الزهري : كان جلساء عمر اهل القرآن ؛ كهولاً كانوا او شبّاناً » (٣) وفي العقد الفريد (٤) : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ايها الناس تعالّمو كتاب الله تعرفوا به ، واعملوا به ، تكونوا من اهله » . وكتب الى سعد بن ابي وقاص يوم القادسية ان يعطى الناس على قدر حفظهم من القرآن . ويبدو ان بعض المسلمين ، ممن أبلى البلاء الحسن في الحرب ، كان دون غيره في حفظ القرآن الكريم ، ومن هؤلاء عمرو بن معد يكرب . قالوا : قال له سعد : ما معك من حفظ القرآن ؟

(١) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي . اسلم سادس ستة ، وهو اول من اظهر اسلامه . شهد المشاهد كلها ونزل الكوفة ، ومات بها وهو ابن ٧٣ سنة . روى له البخاري ومسلم ٣٢ حديثاً .

(٢) سيرة ابن هشام ؛ ٣٦٧/١ . وابن الجوزي ؛ ص ١٣ .

(٣) ابن الجوزي ؛ ص : ١٦٤ .

(٤) العقد الفريد ؛ لابن عبد ربه ؛ ٢٢٢/٢ .

قال : إني اسلمت ثم شغلت بالغزو عن حفظ القرآن . قال : إن امير المؤمنين كتب اليّ أن اعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن ، فقال : عمرو محتجاً :
لئن قُتِلنا وما يبكي لنا احدٌ

قالت قريش : ألا تلك المقادير
نُعطي السويّة في طعن له نفذ

ولا سويّة اذ تُعطي الذنانير ؟!

قيل : وأتاه بشر بن ربيعة ، فقال له سعد : ما معك من حفظ القرآن ؟ قال : معي بسم الله الرحمن الرحيم . فضحك القوم منه ، وقال سعد : ما لك في هذا المال من شيء ولا من نصيب (١) .

وكتب سعد بهذا ، وبأبيات عمرو الى عمر ، فكتب اليه عمر : ان يعطي الناس على مقاماتهم في الحرب (٢) ايضاً .

عمر والشعر وعمر يعدّ التفقّه بالدين والقرآن في المقدّمة عنده . وقد بيّنا ان هذه الناحية هي التي استولت على تفكيره ، وصبغته بصبغتها ، فهو لا يحبّ من الأمور الا ما أمر به الإسلام ، ولا يحبّ من القول الا ما وافق القرآن وروح الإسلام .

وكان بعد هذا يرى الثقافة العملية ، ولا سيما ما كان منها متعلّقاً بالجهاد والحرب ، اولى الثقافات الواجبة التعلّم والتعليم . وقد كتب الى الأمصار : « اما بعد فعلموا اولادكم العوم والفروسيّة ، وزودوهم ما سار من المثل وحسن من الشعر (٣) فتراه يبدأ ، من الناحية العملية بأولاها بالتعلّم لهم ؛ فالعرب عامة يحسنون ركوب الخيل في صحرائهم ، لكثرة معاشرتهم لها ، وكثرة غاراتهم وحروبهم . اما السباحة فحظهم منها ليس بذاك ؛ لقلّة انهارهم ، ولبعدهم عن البحار ، ولعدم احتياجهم اليها . فلما صاروا يحاربون الفرس والرومان على عهد عمر ، صارت السباحة من اولى حاجاتهم

(١) عيون الأخبار ؛ ١/١٢٩ .

(٢) العقد الفريد ٢/٦٦ .

(٣) البيان والتبيين : ٢/١٧٩ .

في الحروب . وقد احسن الحجّاج ابن يوسف ، حين قال لمعلّم ولّده ، وكأنّه يشرح له قول عمر هذا : « علّم ولدي السباحة قبل الكتابة ؛ فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ، ولا يصيبون من يسبح عنهم » . اما الفروسيّة فقد جعلها عمر في المرتبة الثانية ؛ لأنها على أهميّتها الكبيرة — كانت في طبع العرب ، وهم يروون ان خالد ابن سعيد بن العاص ، قُتل حين غشيه العدو ، واراد الركوب فلم يستطيع ولم يجد من يحمله على فرسه (١) . وقد مرّ بنا ان عمر نفسه كان اذا اراد ان يركب جمع جراميزه وامسك باذن فرسه ، قالوا : فكأنّما خلّق على ظهره (٢) ويأتي بعد هذا عنده ما سار من المثل وحسن من الشعر . فالمثل السائر له اثره في المواقف مستحبة وغير مستحبة . واما ما حسن من الشعر ، فلا نشكّ ان حسنه وقبحه عند عمر منوطان بما يبيحه الدين . وكلّ ما لا يبيحه الدين ، مهما حسن ، قبيح عند عمر .

ولا نشكّ في ان عمر — وهو يعني بالناحية العملية من التربية اولاً — يقدّم الشعر للفائدة ، ثم للمتعة ؛ يقول « من خير صناعات العرب الأبيات يقدّمها الرجل بين يدي حاجته ؛ يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم (٣) » ويقول : « الشعر جزلٌ من كلام العرب يُسكّن به الغيظ وتُطفأ به الثائرة ، ويتبلّغ به القوم في ناديم ، ويُعطى به السائل » (٤) . فتراه في حديثه هذا يشير الى المتعة التي يحتويها الشعر ، مع اشارته الى الفائدة .

ولا نراه هنا تعلّل من امر المتعة في الشعر حين يجعلها تتلو الفائدة . وكيف يكون هذا ، وهو الذي يجاد في الشعر متعته وسلوته وراحته . ولكننا نراه يسلك في حديثه هذا مسلكه في الحديث عن السباحة والفروسية . إنّه يدري أن الشعر متعة العرب ، بل لعلّه اولى مُتّعهم ؛ لقد كان الشعراء الجاهليون يغشون الأسواق ، التي هي مجتمع الناس ؛ كسوق عكاظ والمجذّة في الجاهلية . وفي الإسلام صاروا يستمعون للشعر ، يستمتعون به في مجالسهم . وفي العقد الفريد : قيل لبعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) البيان والتبيين ؛ ٢٣/٣

(٢) العقد الفريد ؛ ٢٨١/٥

(٣) البيان والتبيين ؛ ٢٤/٣

(٤) البيان والتبيين ؛ ٣٢٠/٢

ما كنتم تتحدثون به اذا خلوتكم في مجالسكم ؟ قال : « كنّا نتناشد الأشعار (١) » . بل كان المسجد من الأماكن التي يستمع بها المسلمون للشعر (٢) : وفي طبقات ابن سعد قال جابر (٣) بن سمرة : جالستُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد . وروى عن هشام بن (٤) عروة عن أبيه عن عائشة : ان الرسول الكريم بنى لحسان منبراً في المسجد يُنشد عليه الشعر . ويروون أن كعب بن زهير أنشد قصيدته :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيّمٌ إثرها لم يُفدَ مكبول

في المسجد ، وان أصحاب الرسول الكريم ، ضجّوا من نشوة ما عراهم من الاستحسان حين استمعوا الى مديحه للرسول صلى الله عليه وسلم :
إنّ الرسول لنورٌ يُستضاء به

مهتدٌ من سيف الله مسلول

وانّ الرسول الكريم طلب اليهم أن يهدأوا ، ويستمعوا ... ويرى المتحدّثون عن قصيدة كعب هذه ، أنّه انما عنى عمر بن الخطّاب ، بقوله :

في فتيةٍ من قریش قال قائلهم

بيطن مكهٍ لما أسلموا : زولوا

نقول : ولعلّ من الأسباب ، بل من أهمّ الأسباب التي جعلت عمر يُعنى بالشعر ، ويوصى بروايته وحفظه أنّه رأى الرسول الكريم يُعنى به . وفي رواية انه صلى

(١) العقد الفريد ؛ ٣ / ٢١٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ؛ ١ / ٩٥ .

(٣) جابر بن سمرة بن جنادة : صحابي ؛ كان حليف بني زهرة . وله ولأبيه صحبة . نزل الكوفة . وابتنى بها داراً وتوفى في ولاية بشر على العراق . روى له البخاري ومسلم ١٤٦ حديثاً . الاصابة ؛ ت : ٢١٢ . وتهذيب التهذيب ؛ ٣٩ / ٢ ، والأعلام - للزركلي ؛ ٢ / ٩٢ .

(٤) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام . تابعي من أئمة الحديث ، من علماء المدينة ، ولد وعاش فيها . زار الكوفة ودخل بغداد وافداً على المنصور العباسي ، فكان من خاصته روى نحو اربعمئة حديث . وفيات الأعيان ؛ ٢ / ١٩٤ وتاريخ بغداد ؛ ١٤ / ٣٧ والزركلي - الأعلام ؛ ٩ / ٨٦ .

الله عليه وسلم استمع الى عمرو بن كلثوم وهو ينشد في سوق عكاظ ، قصيدته (١) :

ألا هُبِّي بصحنك فاصبحينا

ولا تبقي خمور الأنادرينا

وانه في مجلس الخزرج - بعد الإسلام - استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم : (٢)

أُتُعرف رسماً كاطراد المذاهب

لعمرة وحشاً غير موقسف راكب (٣)

وانه استمع الى شعر امية بن ابى الصلت (٤) . وفي رواية أنه أنشد مائة قصيدة منه ،

وانه كان يستمع اليه ، ويقول - صلى الله عليه وسلم - : « هيه ! » استحساناً لما

يسمع .

ونعود الى الحديث عن عمر فنقول : إنَّ عمر كان ينظر الى الشعر بعين الإعظام

لفائده العملية ، وامتعته وسلوته للنفوس ، ولحرص النبي الكريم على استماعه والإستزادة

منه . وكان يقول : « ان الشعر كان علم قوم لم يكن لهم علم اصحَّ منه » وكفى بهذا

شهادة منه على قيمة الشعر وعلى رأيه فيه . ويروى عنه قوله : « إن الإسلام جاء فتشاغلت

العرب عن الشعر بالجهاد ، وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته » (٥) .

واراد عمر ان يجمع الشعر ، وخاصة هذا الذي قيل في الإسلام منه ، فكتب الى

المغيرة بن شعبة ، ولعه كُتب الى غيره ايضاً ، والمغيرة على الكوفة : « أن استنشد من

(١) الأغاني ؛ ٥٤/١١ .

(٢) قيس بن الخطيم بن عدى الأوسى : شاعر الأوس ، واحد صناديدها في الجاهلية . له اشعار كثيرة في

وقائعهم مع الخروج أدرك الإسلام وتريث في قبوله فقتل قبل ان يدخل فيه . ومن الأدباء من يفضل شعره

على شعر حسان - رضى الله عنه . الأغاني ؛ ١٥٤/٢

(٣) الأغاني ؛ ٧/٣

(٤) امية بن ابى الصلت . شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام . قالوا : إنه أدرك وقعة بدر ورثى من

مات فيها ، وقالوا : إنه مات كافراً أيام حصار الطائف ولم يسلم . وكان ذلك في السنة الثامنة للهجرة . وهو

اشد شعراء ثقيف . وشعره تغلب عليه الروح الدينية ، وهو يتحدث فيه عن الجنة والنار والبعث ... انظر « امية

ابن ابى الصلت - حياته وشعره » لبهجة عبدالغفور الحديثي - طبعة وزارة الإعلام ببغداد .

(٥) طبقات الشعراء لابن سلام الجهمي . والعقاد في كتابه : « عبقرية عمر » ص : ٢٨٨ .

قَبِيلِكَ من شعراء مصرك ، ما قالوا في الإسلام » (١) قالوا : « فأرسل المغيرة الى الأغلب العجالي (٢) ، فقال له : أنشدني ! فقال الأغلب :

أَرْجَزاً تَريد أم قَصيداً

لقد طلبتَ هيناً موجوداً

ثم ارسل الى ليبد بن ربيعة ، وكان قد انقطع عن الشعر بعد اسلامه ، حتى روى انه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً ، هو :

الحمد لله أنْ لم يأتني أجلى

حتى لبست من الإسلام سربالا

ارسل اليه ، فقال ليبد : إن شئت ما عفى عنه ؛ يعنى ما كان في الجاهلية ! فقال المغيرة : لا ، أنشدني ما قلت في الإسلام . قالوا : « فانطلق ليبد فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها ، وقال : ابدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر » .

وكتب المغيرة الى عمر بما كان من امرهما . وطبعي أن عمر — على حبه للشعر وعنايته به — سرّه موقف ليبد ؛ لأن عمر لا يعاو عنده على الاسلام والقرآن شيئاً . قالوا : فكتب الى المغيرة ان ينقص من عطاء الأغلب خمسمائة ويجعلها في عطاء ليبد . فكتب إليه الأغلب : اتنقص عطائي يا أمير المؤمنين أن اطعتك ؟ ! قالوا : فردّ عليه عطاءه وأقرّ ما زاده في عطاء ليبد . (٣)

هذا هو موقف عمر ، وهو الخليفة من الشعر عامة : يرى العناية به تلى العناية بالقرآن الكريم . وحسبنا بهذا منزلة للشعر عنده .

عمر وحفظه وكان عمر كثير الحفظ للشعر . وقد مرّ بنا انه استمع للناطقة

للشعر الجعدي ، وهو خليفة ، وحين أتمّ النابغة قصيدته في الإنشاد ،

قال له عمر إنه طالما تغنى بها خلف جمال الخطّاب .

(١) الأغاني ؛ ٣٦٩/١٥ .

(٢) الأغلب بن عمرو بن عبيدة . من بني عجل من ربيعة : شاعر راجز معمر . ادرك الجاهلية والإسلام . توجه مع سعد غازياً فنزل الكوفة . واستشهد في واقعة نهاوند وهو اول من اطلال الرجز . قال الآمدي : هو أرجز الرجاز . توفي سنة ٢١ هـ .

(٣) الأغاني ؛ ٣٧٠/١٥ .

ويبدو ان عمر كانت له ذاكرة سريعة الحفظ . لقد استمع في حرب احد - وقد غلب المسلمون - لهند وهي ترتجز بهم فأثّر رجزها في نفسه . وفي الأغاني (١) : أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال لحسان : يا ابن الفريعة (٢) لو سمعت ما تقول هند (٣) ! ورأيت اشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ! قال له حسان : اسمعنى بعض قولها اكنكموها . قال : فأنشده عمر بعض ما قالت ، فقال حسان يهجو هنداً :

أشرت لكاع ، وكان عاداتها

لؤماً اذا أشرت مع الكفر

والأبيات كثيرة ، يفحش فيها حسان - رضى الله عنه - ولعلّه ثارت ثائرتة من رجز هند الموجه ، الذي اسمعه بعضه عمر .

ويقول ابن الأثير ، في الكامل (٤) في حديثه عن ردّة بنى عامر وهوازن وسليم ، وحربهم مع خالد بن الوليد ، يقول : « .. وأما خبر أبى شجرة بن عبد العزى السلمي وهو ابن الخنساء ، فإنه كان قد ارتدّ فيمن ارتدّ من سليم ، قال حين ارتدّ :

صحا القلب عن ميّ هواه وأقصرا

وطاوعَ فيها العاذلين فأبصرا

الا أيّها المدلي بكثرة قومه

وحظّك منهم أن تضام وتقهرا

سلّ الناس عنّا كلّ يوم كريهة

اذا ما التقينا دارعين وحُسّرا

(١) الأغاني : ١٩٨/١٥ .

(٢) ابن الفريعة ؛ في القاموس : « وحسان بن ثابت يعرف بابن الفريعة - كجهينة ؛ وهي امه » .

(٣) هند : هند بنت ربيعة ، ام الخليفة معاوية . كانت فصيحة جريئة ؛ تقول الشعر الجيد . ومن شعرها رثاؤها لقتلى « بدر » من مشركى قريش وفي وقعة « احد » وقد غلب المسلمون كانت ممن مثل بقتلاهم . وكانت ممن اهدر النبي الكريم دماءهم يوم فتح مكة وامر بقتلهم ولو وجدوا تحت استار الكعبة . وقد جاءته فأعلنت اسلامها ، فرحب - صلوات الله عليه - بها . شهدت « اليرموك » وحرضت على قتال الروم . وتوفيت سنة ١٤ هـ . طبقات ابن سعد ؛ ١٧٠/٨ .

(٤) الكامل : ٢٣٧/٢ طبعة الاستاذ منير الدمشقي .

أَلَسْنَا نَعَاظِي ذَا الطَّمَا ح لَجَامِهِ

وننطقن في الهيجا اذا الموت اقصرأ ؟!

فرويتُ رمحي من كتيبة خالـدٍ

ولاني لأرجو بعدها أن اعمّـرا

قال ابن الأثير : « ثم ان ابا شجرة أسلم ، فلما كان زمن عمر ، قدم المدينة فرأى عمر وهو يقسم في المساكين ، فقال : اعطني ، فإني ذو حاجة . فقال عمر : ممن انت ؟! فقال : انا ابو شجرة بن عبدالعزّي السُلَميّ . قال : أي عدوّ الله ! لا والله ! أَلستَ الذي تقول :

فرويت رمحي من كتيبة خالـدٍ

ولاني لأرجو بعدها أن اعمّـرا

وجعل يعلوه بالدرّة في رأسه ، حتى سبقه عدوّاً الى ناقته ، فركبها ولحق بقومه . وهم يذكرون له ابياتاً في حادثته هذه مع عمر .

وفي صحيح الامام البخاري ؛ في باب الركوب على الدابّة الصعبة ، من « كتاب الجهاد : كان بالمدينة فزع فاستعار النبیّ صلی الله علیه وسلّم فرساً لأبی طلحة ، يقال له : مندوب ، فركبه ، وقال : مارأينا من فزع ، وإن وجدناه لبحراً » اي واسع الجری . قالوا : فقال عمر بن الخطّاب - رضی الله عنه - : « كذب الخطيئة حيث يقول :

وإنّ جیاد الخیل لا تستفزّنا

ولا جاعلات الریْط فوق المعاصم (١)

وقد يستشهد عمر ببعض البيت من الشعر ، فيكون كالمثل ؛ كتب اليه ابو عبيدة جواب كتابه في امر الطاعون بالشام ، فقرأ عمر الكتاب واسترجع ، فقال له المسلمون : مات ابو عبيدة ؟! قال عمر : لا ، وكأنّ قد ... » يشير الى قول النابغة :

ازف الترحّلُ غير ان ركبنا

لمّا نزل برحالنا وكأنّ قد

(١) الریْط : جمع ریطة ؛ وهي كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، او هي كل ثوب لين رقيق .

ويبدو لنا ان احاديث الخمر ومجالسها وشرابها ، وما يقال فيها من شعر ظلت تطوف في نفسه الكريمة بعد اسلامه ، وبعد امتناعه عنها . وهو يردّد الشعر فيها ترداد — الصوفيّة لأشعار ابى نواس في الخمر ، يستعيرونها وهم يريدون بها الحبّ الالهي الذي يتفانون فيه . قال الجرجاني ؛ عبد القاهر : « وفي الحديث عن عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه — ذكر المرزباني في كتابه بإسناد عن عبد الملك بن عمير ، قال : أتى عمر — رضوان الله عليه — بحلّل من اليمن ، فأتاه محمد بن جعفر بن ابى طالب ، ومحمد بن ابى بكر الصّدّيق ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن حاطب . فدخل عليه زيد (١) بن ثابت — رضى الله عنه — فقال : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء المحمّدون بالباب ، يطلبون الكسوة . فقال : إئذنّ لهم يا غلام . فدعا بحلّل ، فأخذ زيد أجودها ، وقال : هذه لمحمد بن حاطب ، وكانت أمّه عنده ... فقال عمر — رضى الله عنه — : أيهاات ! أيهاات ! وتمشّل بشعر عمارة بن الوليد :

اسرّكِ انا صرّع القوم نشوة

خروجي منها سالماً غير غارم

بريئاً كأنني قبل لم اك منهمم

وليس الخداع مرتضى في التنادم

رُدّها ، رُدّها ! ثم قال : ائمني بشوب فألقه على هذه الحلل . وقال : ادخِلْ يدك فخذ حلّة ، وانت لا تراها فأعطهم . قال عبد الملك ؛ : فلم ار قسمةً اعدل منها . وقال الجرجاني : وعمارة هذا ، هو عمارة بن الوليد بن المغيرة ، خطب امرأة من قومه ، فقالت : لا اتزوّجك أو تترك الشراب ، فأبى . ثم اشتدّ وجده بها فحلف لها ألا يشرب . ثم مرّ بخمّار عنده شرّب يشربون . فدعوه فدخل عليهم ، وقد انقدوا ما عندهم ، فنحر لهم ناقته ، وسقاهاهم ببرديه ، ومكثوا اياماً ... ثم خرج فأتى اهله . فلما رآته امرأته قالت : ألم تحلف ألا تشرب ؟! فقال :

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي : من اكابر الصحابة . كان كاتب الوحي . نشأ بمكة هاجر مع النبي الكريم وهو ابن ١١ سنة . كان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والفرائض . كان احد الذين جمعوا القرآن . وهو الذي كتبه في المصحف لابي بكر ثم لعثمان ، رثاه حسان بن ثابت يوم مات ، له في الصحيحين : ٩٢ حديثاً . صفوة الصفوة ؛ : ٢٩٤/١ . والأعلام للزركلي : ٩٦/٣ .

ولسنا بشَرْبٍ امَّ عَمَرُو إِذَا انتَشَبُوا
ثِيَابُ النَّدَامَى عِنْدَهُمْ كَالْغَنَائِمِ
ولكنَّا يَا امَّ عَمَسُوا نَدِيمُنَا
بِمَنْزِلَةِ الرِّبَّانِ لَيْسَ بِعَائِمِ
اسْرَكْ

قال الجرجاني ، وهو يرى كيف تمثل عمر رضى الله عنه لهذه الأبيات فصرفها من حال الى حال فإذا ربّ هزل صار أداة في - جدّ ، وكلام جرى في باطل ، ثم استعين به على حق « (١)

ولعلَّ عمر كان من أكثر اصحاب رسول الله حباً لاستماع الشعر
عمر وأنشاد منشداً ، وكان يرى في استماعه سلوةً ومتعة ، وقد يكون حافظاً
الشعر لهذا الشعر ومع ذلك يحب استماعه منشداً . ولا سيما اذا كان
المنشد هو الشاعر نفسه ، وعادة ذلك أنه ليستمتع بالإنشاد لذاته ؛ ذلك لأن الإنشاد -
في أغلب الأحيان - يردّ الشاعر الى الحالة النفسية التي قال شعره بها ، فيكون الشعر أبعد
تأثيراً في سامعيه . قالوا : قدم متمم بن نويرة الى مسجد رسول الله ، وصلى خلف
ابى بكر ، حتى اذا فرغ ابو بكر - رضوان الله عليه - من صلاته ، وانفتل من محرابه ،
قام متمم بحذائه ، واتكأ على قوسه ، وراح ينشد في رثاء اخيه مالك :
نعم القتيل اذا الرياح تناوحت

بين البيوت قتلت يا ابن الأزور

وقال : وهو يومئذ الى ابي بكر رضى الله عنه :

ادعوتك بالله ثم غدرتك ! ؟

لو هو دعاك بذهبة لم يغدر

ومضى متمم في انشاده :

ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً

ولنعم مأوى الطارق المتنور (٢)

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ؛ ص : ١١ .

(٢) المتنور ، من قوظم : تنوروا النار من بعيد ، اي تبصروها . القاموس .

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه
حلو شمالكه عفيف المتر
وراح يبكي ... وغلبه البكاء ، فانقطع عن الإنشاد .

وهكذا ترى متمماً ، وهو ينشد اشعاره الباكية ، تأخذه سورة الانفعال حتى يبكي
ويقطعه البكاء عن انشاده .

ويقولون مثل هذا عن كثير من الشعراء ساعة إنشادهم . يحدثون عن الشاعر ذي
الرمّة ، أنه كان ينشد في المربد بالبصرة قصيدته :
ما بال عينك منها الماء ينسكب

كأنه من كلى مفريّة سـرب

قالوا : كان ينشد ، ودموعه تجرى على لحيته (١) . وقالوا عن ابي النجم ، الراجز العجلى
إنه اذا أنشد أزبد ووحش بثيابه — اي رمى بها — وكان من أحسن الناس إنشاداً (٢) .
هذه حالة الشعراء حين ينشدون اشعارهم . إن عواطفهم تثور وتغلي ، حتى تنزل
دموعهم وتسيل ، وحتى يشرق بعضهم بدمعه ويعسر عليه الإنشاد ، او يفعل به على
نحو ما يفعل بأبي النجم الراجز يوحش بثيابه .

ونعود فنقول : كان عمر يحب ان يستمع الشعر ينشده الشعراء قائلوه . وفي العقد
الفريد : « قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه للنبغة الجعدي : أسمعني بعض
ما عفا الله لك عنه من غنائك ، فأسمعه كلمة له . قال : وإني لك لقائلها ! » قال : نعم .
قال عمر : لطالما غنيتُ بها خلف جمال الخطاب (٣) » يعني اباه .

ويقول ابن الأثير : « ولما قدم متمم بن نويرة — على عمر ، قال له عمر : ما بلغ
بك الوجد على اخيك ؟ قال : بكيته حولاً حتى اسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة
وما رأيت ناراً قطّ إلا كدت اتقطع أسى عليه ، لانه كان يوقد ناره الى الصبح ، مخافة
أن يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه ... قال عمر : أنشدني بعض ما قلته فيه ، فأنشده
مرثيته التي يقول فيها :

(١) اسواق العرب ؛ ص : ١٣٤ .

(٢) الأغاني ؛ ١٥١/١٠ .

(٣) العقد الفريد لا بن عبد ربه ؛ ٩/٦ .

وكنّا كندمانى جزيمة حقة

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني وماكأ

لطول اجتماع لم نبت ليلة معا (١)

وكما كان عمر يحب ان يستمع الى الشعر منشداً من شعرائه (٢) ، كان يحب ان يسمعه منشداً من غير شعرائه ايضاً . قال ابن عباس - رضى الله عنه - خرجت مع عمر في اول غزوة غزاها ، فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس ، انشدني لشاعر الشعراء ! قلت : ومن هو يا امير المؤمنين ؟ قال : زهير بن ابي سلمى ، انشدني له . قال ابن عباس : فأنشدته حتى برق الفجر . قال : حسبك الآن ، اقرأ القرآن . قلت : وما اقرأ ؟ قال : اقرأ : « الواقعة » . قال : فقرأتها . ونزل فأذن (٣) وصلى

وترى من حديث ابن عباس هذا أن عمر كان يحفظ شعر زهير ، ولكنه يحب ان يسمعه منشداً . وتراه ما قطعه عن الاستماع الى إنشاده إلا بروق الفجر ، والاستماع الى قراءة القرآن ثم الأذان والصلاة .

ونقول في هذا ان المنشد إذا ذاق الشعر وتأثر به ثارت عواطفه ، وحدث له ما يحدث للشاعر نفسه . وقد بين افلاطون في احدي محاوراته السقراطية عن احد المنشدين الهومريين - الذين ينشدون شعر الشاعر هوميروس - ما يحدثه الانشاد من أثر في نفسه ، قال : « حين أنشد نشيداً حزيناً تمتلئ عيناى بالدموع » وحين يكون غريباً او مخيفاً يقف شعر رأسي ، ويتزايد خفقان قلبي (٤) . وفي حديث الزبير ابن بكار (٥) أن ابا عبيدة كان إذا انشد قصيدة كثير عزّة :

(١) الكامل لابن الأثير : ٢٤٣/٢ طبعة الاستاذ منير الدمشقي .

(٢) انظر مقالنا السابق عن « عمر بن الخطاب في سيرته الأدبية » في الحديث عن : « عمر واسرته » في المجلد السابع والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

(٣) الأغاني : ٢٩٠/١٥ .

(٤) The dialogues of plato - Translated by Jowett p 40

(٥) الزبير بكار : من احفاد الزبير بن العوام . عالم بالأنساب والأخبار ، راوية . ولى قضاء مكة وتوفى فيها ، له تصانيف كثيرة ، منها : « اخبار العرب وایامها » و « نسب قريش واخبارها » و « اخبار حسان » و « اخبار نصيب » و « اخبار كثير عزّة » . توفي سنة ٢٥٦ هـ .

لعزّة من ايام ذى الغصن شاقني

بضاحي قرار الروضتين رسوم (١)

فما برسوم الدار لو كنت عالماً

ولا بالتسلاع المقويسات اهيم

يقول : « كان إذا انشد قصيدة كثير هذه يتحازن حتى تقول : إنه يبكي (٢) ». وهكذا ترى أن عمر كان يحب أن يسمع الشعر منشداً ؛ لأن الإنشاد يكسب الشعر صورة اخرى ، ولا سيما اذا كان المنشد مجيداً . وناهيك بابن عباس منشداً للشعر ، وقارئاً للقرآن .

وعمر يحب الشعر لدواع فنية فيه . على أنه مع إكباره واستمتاعه للنواحي الفنية فيه يغلب الجانب العملي ، والجانب الخلقي على الجانب الفني فيه . وحديثه في هذا حديثه في الطعام ؛ كان يشتهي لذيله وطيبه ، ومع ذلك كان يذود نفسه عنه ذوداً ، لأنه لا يريد أن يستأثر بطعام يصعب تيسره لعامة المسلمين (٣) . ومن هنا صار يأمر بتداول الشعر يرى فيه خدمة للدين وللخلق ، وينهى عن الشعر يرى فيه مساساً بالدين والخلق . وقد مرّ بنا أنه كتب الى المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة ، ان استنشد من قبلك من شعراء مصر لك ما قالوا في الإسلام . فتراه يطلب اليه اذاعة ما قاله الشعراء في ايام الإسلام ، ولا يريد ما قيل في الجاهلية ؛ لأنه يدرى أن ما قيل في الجاهلية فيه ما يخالف الكثير مما يريد الإسلام ويأمر به . وهذا ما لا يريد عمر ، ولا يريد إذاعته . وواضح ايضاً انه انما طلب الى المغيرة ان يعنى بالشعر الذي قيل في الإسلام لعلمه أنه قيل بروح اسلامية تحث على الجهاد ، وتحث على التضحية في سبيل نشر الإسلام ، ونشر مبادئه واعلاء كلمته .

(١) ذو الغصن : واد قريب من المدينة ، تنصب فيه سيول الحرة . وهو من اودية العقيق .

والروضتان : هما روضة « الجاهم » و « روضة الدوب » . وقد اشار كثير الى هذا في الأبيات التالية لهذا البيت . والقرار : جمع قرارة ؛ وهي المظمن من الأرض . وضاحي القرار : الظاهر البارز منها .

(٢) الأغاني ؛ ١٨٦/١٢ .

(٣) انظر حديثنا عن : « عمر بن الخطاب في سيرته الأدبية » . في المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي ؛ سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

كان هذا ديدن عمر في سيرته . ولقد كتب الى سعد بن أبي وقاص ، وهو بالقادسية :
« ان جذبهم حديث الجاهلية ، فإنه يذكر بالاحقاد . وعظهم بأيام الله مانشطوا
لاستماعها » (١)

وأنشده سحيم (٢) ؛ عبد بني الحسحاس قصيدته المشهورة :

عُمَيْرَةَ وَدَّعْ إِن تَرَحَّلْتَ غَادِيَا

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر : « لو قدّمت الإسلام على الشيب لأجزتك (٣) » وفي رواية انه قال
له : « لو كان شعرك كله مثل هذا لأجزتك » . ولئن كان الكثير من الخلفاء وأوأي
الشأن من الناس يُجيزون الشعراء على الشعر يمتدحونهم به ، فإنّ عمر هو الذي
يُجيز على الشعر بحثاً على الخلق القويم ويرفع من شأن الإسلام .

وكما كان يأمر برواية الشعر يمتلي بروح الإسلام ويعلى كلمته ، كان ينهى عن
الشعر ، لا يرى فيه خدمةً لروح الإسلام ، ولذلك نهى عن رواية الشعر يذكر
بالاحقاد ؛ ما كان منها في الجاهلية ، وكان وما منها في الإسلام . وفي الأغاني :
« نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ،
وقال : في ذلك شتم الحى بالميت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله امر الجاهلية بما
جاء في الإسلام (٤) » .

قالوا : « ... فقدم المدينة عبدالله بن الزّبّعري السّهْمِيّ ، وضِرار بن الخطّاب
الفِهْرِيّ ثم المحاربِيّ ، فترلا على ابى احمد بن جحش ، وقالوا له : نحب ان ترسل
الى حسّان بن ثابت حتى يأتيك ، فننشدده وينشدنا مما قلنا له وقال لنا . فأرسل اليه فجاءه
... فقال ابن الزّبّعري وضِرار : يا ابا الواليد — كنية حسّان بن ثابت — إنّ شعرك

(١) رسائل الجاحظ ؛ ٢٩٠/١ .

(٢) سحيم : شاعر رقيق الشعر ، كان عبداً نوبياً اعجبى الأصل اشتراه بنو الحسحاس ؛ وهم بطن من
اسد فنشأ فيهم . رآه النبي الكريم ، واعجبه شعره . عاش الى اواخر ايام عثمان ومات حوالي سنة ٤٠ هـ . له
ديوان صغير مطبوع ، بتحقيق الاستاذ عبدالعزيز الميمنى .

(٣) البيان والتبيين ؛ ٧١/١ .

(٤) الأغاني ؛ ١٤٠/٤ .

كان يُحْتَمَلُ في الإسلام ولا يحتمل شعرنا ، وقد أحببنا ان نُسمعك وتُسمعنا .
 فقال حسان : أفتبدآن ام ابدأ ؟ قال : نبدأ نحن ... فأنشده حتى فار فصار كالرجل
 غضباً ، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة ، فخرج حسان حتى دخل على عمر بن
 الخطاب فقصَّ عايه قصتهما وقصته . فقال عمر : لن يذهبها عنك بشيء إن شاء الله .
 وارسل من يردُّهما ، وقال له عمر : لولم تدركهما إلا بمكة فارددْهما عليَّ ... ووافاهما
 رسول عمر فردَّهما اليه . فدعا لهما بحسّان ، وعمر في جماعة من اصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لحسّان : أنشدهما مما قلت لهما . فأنشدهما حتى فرغ
 مما قال لهما . فوقف ، فقال له عمر : افرغت ؟ قال : نعم ، فقال له : أنشدك في
 الخلا ، وأنشدتهما في الملا ... وقال عمر لمن حضره : إني قد كنت نهيتكم أن
 تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم ، وبث القبيح فيما
 بينكم (١) .

وقصة الزبرقان بن بدر وهجاء الخطيئة له ، واستعداد الزبرقان عليه عمر بن الخطاب
 مشهورة متداولة . وسنحدث عن شعر الخطيئة فيها في مكان آخر من هذا الحديث .
 قالوا : لقد امر عمر بالخطيئة فحبس ، وظلَّ الخطيئة يقول الشعر يستعطف به عمر ،
 وعمر لا يردُّ عليه ، حتى قال ابياناً ، منها :

ماذا تقول لأفراخ بنى مَرخٍ (٢)

زُغِبَ الحواصل لاماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله يا عمر

وامنن على صبيسة بالرمل مسكنهم

بين الآباطح تغشاهم به القرر

قالوا : فبكى عمر ، حين سمع ابياته هذه . وارسل الى الخطيئة ، وقد كلمه فيه
 عمرو بن العاص ، وعبدالرحمن بن عوف وغيرهما ، فأخرجه من السجن ، ثم قال :

(١) الأغانى ؛ ٤٣ / ١٤١ .

(٢) ذو مرخ ؛ في القاموس : « وذو مرخ محرّكة : واد بالحجاز »

عليّ بالشاعر . فإنه يقول الهجّر وينسب بالحُرّم ، ويمدح الناس وذمّمهم بغير ما فيهم ، ما اراني الا قاطعاً لسانه ... فقالوا : لا يعود يا امير المؤمنين ! وأشاروا اليه : النّجاء (١) ... » .

وفي الأغاني : « ... عن عبدالله بن المبارك : ان عمر ، - رضى الله عنه - لما اطلق الخطيئة اراد ان يؤكّد عليه الحجّة ، فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم ، فقال الخطيئة في ذلك :

واخذت أطراف الكلام فلم تدع
شتماً يضرُّ ، ولا مديحاً ينفع

وحميتني عرض اللّثيم فلم يخف
ذمّي ، وأصبح آمناً لا يفرع

ومثل قصة الخطيئة والزبرقان هذه ، قصة تميم بن مقبل والنجاشي الحارثي . قالوا : هجا النجاشي رهط تميم بن مقبل . ، فاستعدّوا عليه عمر بن الخطّاب ... فحبس الشاعر ، وضربه ، وانذره لئن عاد ليضاعفنّ له العقاب (٢) . » .

وكما نهى عن شعر الهجاء ، وحبس عليه ، نهى عن الشعر يقال في الخمر (٣) ، وعاقب عليه ايضاً . قالوا : بلغه ان النعمان (٤) بن عديّ بن نضاة ، واليه على « ميسان » قال :

(١) الأغاني ؛ ١٨٩/٢ .

(٢) انظر ص : ٢٨٩ من كتاب : عبقرية عمر - لعباس محمود العقاد . وسنعاود الحديث في قصته هذه في حديثنا عن عمر ونقد الأدب .

(٣) انظر مقالنا السابق عن عمر والخمر في مجلة المجمع العلمي العراقي هذه .

(٤) النعمان بن عديّ بن نضلة العدوي : شاعر ، صحابي ، من الولاة . هاجر مع ابيه الى الحبشة ، في بدء ظهور الإسلام ، ومات ابيه فيها ، فورثه النعمان ، قالوا : فكان اول وارث في الإسلام . ولاء عمر على « ميسان » وميسان كورة واسعة بين البصرة وواسط . قالوا : « ولم يول عمر احداً من قومه (بنى عدي) غيره ، لما كان في نفسه من صلاحه . واستقدمه عمر وعزله حين بلغه شعره هذا . قال النعمان : والله ما كان من ذلك شيء ، وانما هو فضل شعر قلته . فقال عمر : إني لأظنك صادقاً ، ولكن - والله - لا تعمل لي عملاً ابداً . ورحل النعمان الى البصرة ، وظل يغزو مع المسلمين الى ان مات . انظر الإعلام - للزركلي ؛ ٧/٩ .

من مبلغ الحسناء ان حليلها
 بميسان يُسقى في زجاج وختم (١)
 اذا شئت غنتني دهاقين قريبة
 وصناجة تحشو على كل منسم (٢)
 فإن كنت ندماني فبالأكبر اسسقني
 ولا تسقني بالأصغر المتثلّم
 لعلّ امير المؤمنين يسوؤه
 تنادنا بالجوسق (٣) المتهدّم

قالوا : فلما بلغ عمر قوله ، قال : نعم — والله — إنه ليسوؤني وعزله .
 ومرّ بنا حديث عمر ، وغيرته الشديدة على النساء (٤) . ومن هنا تقدّم — رضى الله عنه
 الى الشعراء ، ألاّ يشيب احدٌ بامرأة إلاّ جلده . قالوا عن الشاعر حميد بن ثور ،
 وقد عدّه ابن سلام في طبقاته ، في الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين (٥) — إنه
 اراد ان يشيب فخاف عمر ، فكنى عن المرأة بالسرحة — والسرحة : الشجرة الطويلة —
 وقال قصيدته التي منها :

ابى الله إلاّ أنّ سَرحة مالك
 على كلّ أفنان العِضاه تروق (٦)

-
- (١) الختم : الجرة الخضراء .
 (٢) قال ابن الجوزي : « جاء في الشعر تحشو وتحذو والصحيح يحذو ومعناه ينتصب » والمنسم : استعارة ؛ وهو
 من البعير بمنزلة الظفر من الإنسان .
 (٣) الجوسق ؛ قال ابن الجوزي : « والجوسق فارسي معرب ، وهو تصغير (كوشك ، اي قصر صغير »
 ص : ١٠٠ سيرة عمر بن الخطاب .
 (٤) انظر مقالنا السابق في هذا ، في مجلة المجمع العلمي العراقي .
 (٥) الأغاني ؛ ٣٥٦/٤ ، وطبقات الشعراء لابن سلام الجهمي ؛ ص : ١٣٠ ، طبعة اوربا .
 (٦) السرحة : الشجرة الطويلة . والعِضاه ؛ بالكسر اعظم الشجر ، او كل ذات شوك او ما عظم منها .
 تروق : تريد عليها بحسنها وبهائها ؛ من قولهم : راق فلان على فلان : اذا زاد عليه فضلا . انظر حاشية ص :
 ٣٥٦ من الجزء الرابع من الأغاني .
 والقصيدة طويلة جيدة . انظرها في : « ديوان حميد بن ثور ، ص : ٤ ؛ مطبعة دار الكتب المصرية
 سنة ١٩٥١ بتحقيق الاستاذ عبدالعزيز الميمنى .

فقد ذهبَتْ عَرَضاً وما فوق طولها
من السَّرحِ الا عَشَّةٌ وسَحوقُ (١)
فلا الظلَّ من برد الضحى تستطيعه

ولا الفيء من برد العشي تذوقُ

الى أن قال — وكأنه خاف عمر — رضى الله عنه — :

فهل انا إن علَّاتُ نفسي بسرحتَه
من السَّرحِ مسدودٌ عليَّ طريقُ

وكان عمر يحب شعر الرثاء خاصة ، وربما احبّه لأمرين اولهما — الرثاء يقوله الشاعر — في الغالب — عن عاطفة صادقة ، ولا سيّما هذا الرثاء الذي يقوله الشعراء ينكبون بأولادهم او إخوانهم او ذويهم ، وبابه من أصدق ابواب الشعر العاطفيّ عند العرب . يضاف الى هذا أنّ الشعراء العرب ، حين يتحدّثون عن الميت في الرثاء لا يذكرون ، في الغالب ، الا محاسنه ، وما فيه من شيم ومروءة وخلق كريم ، وهذه هي الصفات التي يحب عمر ان تشيع بين المسلمين لموافقتها للدين الإسلامي ومثله الكريمة . وهم حين يتحدّثون عن انفسهم وشعورهم الحزين على الموتى ، انما يذكرون لواعجهم وقد مرّ بنا أنّ عمر بن الخطاب قد رزى بأخيه زيد ، وان حزنه عليه كان فوق حزن الإخوان على اخوانهم ، وانه رزى بابنه عاصم ، ومن هنا أحبّ عمر شعر الرثاء ، وكان يحب ان يسمعه منشداً ، ولا سيّما اذا كان منشداً من قائله نفسه ، ومن هنا كان يحب ان يستمع الى الرثاء من قائله خاصة .

قالوا : زار الغرقد ، والغرقد مقبرة اهل المدينة ، ورأى اعرابياً فيها جاء يزور ولده الذي واراها من ثلاث سنين ، فسأله عمر أن يُنشده ما قال فيه من الرثاء ، فأنشده الأعرابي (٢) .

وشهر عمر بحبه لاستماع رثاء متمم لأخيه مالك ، وكان يحب ان يسمعه منشداً منه . وقد مرّ بحديثنا عن حبّ عمر لأخيه زيد ، وحزنه الشديد لمقتله إنه كان يقول :

(١) العشة ؛ في الأغاني : « العشة : القليلة الأغصان والورق . والسحوق : الطويلة المفرطة » .

(٢) انظر مقالنا السابق عن « عمر بن الخطاب في سيرته الأدبية » في المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

ما اراد أحد ان يبكيهني إلا ذكرني بأخي زيد . ويقول : ما هبّت الصبا من اليمامة
الا شمنت منها رائحة اخي زيد .

ومرّ بنا حديثه مع ابي بكر في مقتل مالك ، وانه طلب اليه ان يعزل خالدًا بسببه .
وعندنا ان الشعر الذي كان يسمعه عمر من متمم ، وهو رثاء اخ لأخيه كان يعبر
عن نفس عمر فيما كنهه لأخيه زيد . وقد عبّر هو عن هذا فقال : وددت أني أحسن
ان اقول في اخي زيد ما قلت في اخيك مالك . فكأنه حين يسمع هذا الرثاء يرى فيه
نفسه ، وقد عبّرت بما عندها لأخيه زيد .

وقد يكون من اسباب حبه الشديد لهذا الرثاء ، عطفه على مالك ؛ ذلك ان عمر —
على ما روى الرواة عنه — رأى انه كان مسلماً ، وأنه قتل ظلماً . يضاف الى هذا كنهه
تزوج خالد بن الوليد بامرأته . وهم يروون قول عمر لخالد : « قتلت مساماً ونزوت
على امرأته (١) » وقد سبق ان بينا أن عمر كان شديد الغيرة على النساء ، ولا نشك
ان هذا ضاعف من عظم الأمر في نظره . وقد يكون مما ضاعف هذا الأمر عنده ان ابنه
عبدالله كان في جيش خالد هذا . يقول ابن سلام : « وقال له عبدالله بن عمر ، وهو
في القوم يومئذ : ياخالد ابعده شهادة ابي قتاده ؟ فأعرض عنه . ثم عاوده اي عاود
خالدًا — فقال خالد : يا ابا عبد الرحمن اسكت عن هذا ؛ فإنني أعلم ما لا تعلم » وعلى
هذا فربما كان حديث عبدالله بن عمر الى ابيه ، وهو على رأي ابي قتادة ، مما جعل
ظن عمر في هذا الأمر يقيناً او كاليقين .

يضاف الى هذا ان مالكاً كانت له صفات يحبها عمر ، وكان فيه صفات من اخيه
زيد بن الخطاب ، فكأنه اجتذب اليه نفس عمر لهذا ولهذا . يقول ابن سلام عنه :
« وكان مالك رجلاً شريفاً فارساً (٢) » ويبين صاحب الأغاني ان فرسه « ذا الخمار »
كان من الشهرة بحيث يُعرف به مالك . يقول : « وكان مالك يقال له : فارس ذى الخمار !
قيل له ذلك بفارس كان عنده يقال له « ذو الخمار (٣) » . ورمح مالك ، على ما يصفه
اخوه متمم ، الرمح الخطل . وقد علّق الجاحظ على عبارة متمم ، بقوله : « ولا يحمل

(١) انظر المقال المشار اليه نفسه .

(٢) طبقات الشعراء — لابن سلام الجبلي ؛ ص : ٥٠ .

(٣) الأغاني ؛ ٢٩٨/١٥ .

الرمح الخطل إلا الشديد الأيد ، والمدلّ بفضل قوّته عليه ، الذي اذا رآه الفارس في تلك الهيئة هابه ، وحاد عنه (١) « وحسبك من شجاعته ان قالوا في المثل : « فتى ولا كمالك (٢) » وفيه يقول متمم اخوه :

ولنعم حشو الدرع انت وحاسراً

ولنعم مأوى الطارق المتنور

ولعل هذا كان يسمعه عمر ، فتسرع الى خاطره صورة اخيه زيد ، وقد تحاورا على الدرع ، حين اعطاه عمر لأخيه في يوم الأحد ، فلسبها زيد ، ثم عاد فخاعه ، وتحاورا في ايّهما يلبسها ، ثم تركاها معاً .

وفوق شجاعته هذه ، قالوا فيه حين قتل : « إنّه ، والله — كان غضيض الطرف عن الجارات ، حديد النظر في الغارات » (٣) وفيه يقول متمم :

لا يُضمّر الفحشاء تحست ردائه

حلو شمائله عفيف المثرز (٤)

وراء هذا كله كان مالك شاعراً ايضاً .

هذه الصفات التي جمعها مالك هي الصفات التي حيّبت رثاءه الى عمر ؛ كان شجاعاً شريفاً ، وكان عمر يحب هذا ، وكان زيد بن الخطاب اخوه كذلك . وكان غضيض الطرف عن الجارات ، وعمر شهر بغيرته على النساء حتى لو قيل « الخليفة الغيور » لما تبادر الى الذهن غيره (٥) . وكان شاعراً وعمر يحب الشعر .

وفي الأغاني : « وانشد متمم عمر بن الخطاب ، وذكر خمصه — يعني خمص مالك — يعني قوله :

لقد كفّن المنهال تحت ردائه

فتى غير مبطان العشيات أروعا

(١) البيان والتبيين : ٢٤/٣ .

(٢) العقد الفريد — لابن عبد ربه : ١١٤/٢ .

(٣) الأشباه والنظائر : ٣٤٥/٢ .

(٤) العقد — عبقرية عمر .

(٥) الأغاني ؛ ٣٠٦/١٥ .

قال : « فقال عمر : أكذاك كان يا متمم ؟! قال : أمّا ما أعنى فنعم » وقد
اطلنا الحديث عن عمر والطعام - في مقالنا السابق - ولا شك ان هذه ايضاً مما
كان يعطف نفس عمر عليه في رثائه .

وفي الأغاني : « حدثني احمد بن عمّار العبدى ، وكان من العلم بموضع ، قال :
حدثني ابي عن جدي ، قال : صليت مع عمر بن الخطاب الصبح ، فلما انقضى من
صلاته ، اذا هو برجل قصير اعور ، متنكباً قوساً ، وبيده هراوة ، فقال : من هذا؟
قالوا : متمم بن نويرة ، فاستنشده عمر قوله في اخيه ، فأنشده :
لعمرى وما دهري بتأبين مالك

ولا جزع مما اصاب فأوجعنا
لقد كُفّن المنهال تحت ثيابه
فتى غير مبطان العشيات اروعا
حتى بلغ الى قوله :

وكنا كندماني جديمة حقبه
من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرّقنا كأنّى ومالكاً

لطول اجتماع لم نبت ليلةً معاً

فقال عمر : هذا والله التأبين ، ولوددت اني احسن الشعر ، فأرثى اخى زيداً بمثل
ما رثيت به اخاك ! « وقال عمر : لو كنت شاعراً لقات في اخى زيد اجود
مما قلت . قال متمم : يا امير المؤمنين ! لو كان اخي اصيب مصاب اخيك ما بكيته..
وكان عمر يحب شعر زهير ، وشعره في المديح خاصة ؛ ذلك لأن زهيراً يمدح بالمثل
العربية الكريمة التي ارادها الإسلام ، وحثّ عليها . ثم هو لا يبالغ ولا يُسرف في
مديحه ، ولا يمدح - على قول عمر - أحداً إلا بما فيه . قالوا : أنشد قول زهير في
هرم بن سنان :

قومٌ ابوهم سنانٌ حيث تنسبهم

طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
 قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا
 محسدون على ما كان من نعيم
 لا ينزع الله منهم ما له حُسدوا
 فقال عمر : ما كان احب اليّ لو كان هذا الشعر في اهل بيت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم (١) .

عمر يسترضى ومن اقوال عمر - رضى الله عنه - : « من خير صناعات العرب .
ويستشفع عنده الابيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستنزل بها الكريم
بالشعر ويستعطف بها اللئيم (٢) «و» يستنزل» في عبارته هذه : يطلب
 منه النزل . والنزل : ما يُهيأ للضيف أن ينزل عليه من طعام ذى فضل وبركة (٣) .
 ومنه قولهم : مكان نزل ، وارض نزلة : اي زاكية الزرع . فكأنه - رضوان الله عليه -
 يرى أبيات الشعر خير ما يستنزل بها الكريم . وكان عمر كذلك ، وكان قصّاده
 يقفون هذا الموقف منه .

جاءه عمرو بن الحارث بن النهمسى من همدان ، المعروف بعمر بن براقه ، وبراقه
 امّه ، وله اخبار في الجاهلية ، جاءه بعدما اسنّ وضعف ، فأنشده ابياتاً يقول فيها :
 إنك مسترعى وإنني رعيّة

فوصله عمر (٤) .

ووفد عليه معن بن اوس (٥) ، ومعن شاعر مجيد ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام
 له مدائح في جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويبدو أن سُبُل العيش

(١) العقد الفريد : ٢٩١/٨ . (٢) البيان والتبيين : ٣٢٠/٢ .

(٣) القاموس المحيط .

(٤) الاصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر ١١٥/٣ ترجمة : ٦٤٧٧ .

(٥) معن بن اوس بن نصر بن زياد المزني - رحل الى الشام والبصرة وكف بصره في اواخر ايامه . كان يتردد
 الى عبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر بن ابي طالب فيالغان في اكرامه . وكان معاوية يفضلّه ويقول : اشعر
 اهل الجاهلية زهير بن ابي سلمى ، واشعر اهل الاسلام ابنه كعب ومعن بن اوس « وهو صاحب لامية المعجم ،
 التي اولها :

لمرك ما ادرى وإنني لأوجل
 على ايناتعدو المنية اول

لم تكن ميسرة له في الحجاز ، حتى قالوا : إنه سافر الى الشام ، وخلف ابنته ليلى
في جوار عمر بن ابي سامة - وامه ام سامة ، ام المؤمنين رضي الله عنها - وفي
جوار عاصم بن عمر بن الخطاب ، فقال له بعض عشيرته : على من خالفت ابنتك
ليلى بالحجاز ، وهي صبيّة ليس لها من يكفيها ؟! فقال مّعن :

لعمرك ما ليلى بدار مضبعة

وما شيخها إن غاب عنها بخائف

وإن لها جارين لن يغدرا بها

رييب النبي ، وابن خير الخلائف

وعمر مّعن هذا ، حتى ضعف بصره ، وكثر عياله ، وعلاه الدين ، حتى قال :

اخذت بعين المسال حتى نهكته

وبالدين حتى ما اكاد أدان

وحتى سألت القرض عند ذوى الغنى

ورد فلان حاجتي وفلان

قالوا : وفد مّعن على عمر مستعيناً به على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدته التي أوّلها :

تأوّبه طيف بسذات الجرائم

فنام رفيقاه وليس بنائم (٢)

فَوَصَّاهُ عُمَرُ (١) .

وحبس عمر الخطيئة لهجائه الزبرقان بن بدر ، فراح الخطيئة يستعطف عمر بشعره

وقال فيه :

اعوذ بجدك اني امرؤ سقتني الآعادي اليك السّجالا (٣)

فإنك خير من الزبرقسا ن اشدّ نكالا وأرجى نوالا

تحنن عليّ هداك الملية لك فإن لكل مقام مقالا

(١) الأغاني ؛ ٥٩/١٢ .

(٢) ذات الجرائم : موضع .

(٣) السّجال : جمع السجل ؛ وهو الدلو العظيمة مملوءة ، وملء الدلو (القاموس) .

ولا تأخذني بقول الوشاة
فإن كان ما زعموا صادقاً
حواسير لا يشتكين الوجسا
فلم يلتفت اليه عمر ، حتى قال ابياته :
فإن لكل زمان رجالا
فسقت اليك نسائي رجالا (١)
يحفّضن آلا ويرفعن آلا
ماذا تقول لأفراخ بنى مَرّخ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
قالوا : فبكى عمر حين استمع ابياته هذه ، واطلقه .
زُغِب الحواصل لا ماء ولا شجر
فاغفر عليك سلام الله يا عمر (٢)

وفي اخبار المخبّل (٣) السعدي الشاعر ، واسمه الربيع (٤) بن ربيعة ، ان ابنه
شيبان خرج مع سعد بن ابي وقاص لحرب الفرس ، فجزع عليه المخبّل جزعاً شديداً
وكان قد اسنّ وضعف ، فافتقر الى ابنه ، ولم يملك الصبر عنه ، وكاد أن يُغلب على
عقله ، فعمد الى ابله وسائر ماله فعرضه لبيعه ويلحق بابنه ... وكان به ضنيناً . قالوا :
فمنعه علقمه بن هُوذة .. وقال : انا أكلّم امير المؤمنين عمر في ردّ ابنك . فإن فعل
غنمت مالك واقمت في قومك ... ومضى الى عمر - رضوان الله عليه - فأخبره خبر
المخبّل ، وجزعه على ابنه ، وأنشده قوله :

أيهلكني شيبان في كلّ ليلة
أشيبان ما أدراك أن كلّ ليلة
وأزني حنّ ظهري خطوب تتايعت
إذا قال صحبي : يا ربيع ألا ترى ؟
لقلبي من خوف الفراق وجيب (٥)
غبتك فيها والغبوق حبيب (٦)
فمشي ضعيف في الرجال دبيب
أرى الشخص كالشخصين ، وهو قريب

- (١) رجال : جمع رجلة (بفتح الراء وضم الجيم) اي راجلة .
(٢) الأغاني : ١٨٨/٢ وبقيّة الأبيات في ص : ٥٦ من هذا المقال .
(٣) انظر خبره هذا في الأغاني ؛ ١٨٩/١٣ .
(٤) هذه تسمية ابن الكلبي ، وفي الأغاني : « وقال ابن دأب : اسمه كعب بن ربيعة . وقال ابن حبيب وابو عمرو : اسمه ربيعة بن مالك ... » والمخبّل هذا شاعر فعل ، من مخضرمي الجاهلية والاسلام . يكنى ابا يزيد ، وإياه عني الفرزدق بقوله :

وهب القصائد لي النوايغ اذ مضوا
وابو يزيد وذو القروح وجروا

- الأغاني ؛ ١٨٩/١٣ .
(٥) ويروى : « وأهلكني .. والوجيب : الخفقان .
(٦) الغبوق : الشرب في العشي

وَيُخْبِرُنِي شَيْبَانُ أَنَّ لَن يَعْقُنِي تَعَقُّ إِذَا فَارَقْتَنِي وَتَحُوبُ (١)
قالوا : فلما انشد عمر هذه الأبيات بكى عمر ، ورقّ له . فكتب الى سعد يأمره أن
يقفل شيبان بن المخبّل وَيَرُدّه الى ابيه .

ومثل حادثة شيبان وابيه المخبّل ، حادثة خراش وأبيه ، وذلك ان خراشاً غزا مع المسلمين
وأوغل في ارض العدو .. فقدم ابو خراش (٢) الهذليّ المدينة ، وجلس بين يدي عمر ،
وشكا اليه شوقه الى ابنه وانه رجل قد انقرض اهله ، وقُتِل اخوته ، ولم يبق له ناصر ولا
معين غير ابنه خراش هذا ، وقد غزا وتركه . وانشأ يقول :

الا مَسْن مَبْلَغ عَنِّي خَرَّاشاً وقد يَأْتِيكَ بِالنَّبَسِ البَعِيدُ
وقد يَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مِنْ لَا تَجْهَـزُ بِالْحِذَاءِ وَلَا تَزِيدُ (٣)
يَنَادِيهِ لِيَغْبِقَهُ كَلِيبٌ وَلَا يَأْتِي ، لَقَدْ سَفَّهُ الْوَلِيدُ (٤)
فَرَدَّ إِنَاءَهُ لَا شَيْءَ فِيهِ كَأَنَّ دَمُوعَ عَيْنِهِ الْفَرِيدُ (٥)
وَاصْبَحَ دُونَ غَابِقِهِ وَأَمْسَى جِبَالٌ مِنْ حِرَارِ الشَّامِ سَوْدُ (٦)

قالوا : وسمع عمر إنشاده فرقّ له ، وكتب - رضى الله عنه - بأن يُقْبَلَ خراش
الى ابيه ، وألاّ يغزو من كان له اب شيخ الا بعد ان يأذن له .

ووفد على عمر زرارَةُ بْنُ جَزْءٍ ، وزرارةٌ صحابيٌّ جليل عُمَرُ الى خلافة مروان بن
الحكم (٧) ، وقد عليه فتكلم عنده ، ورفع حاجته اليه ، فاستجاب له عمر ، ويشير
زرارة الى ان منطقته هو الذي ألان له نفس عمر ، اذ يقول (٨) :

اتيت ابا حفص ، ولا يستطيعه من الناس الا كالسنان طرير (٩)

-
- (١) تحوب : تأثم والقصيدة طويلة ؛ انظرها في الأغاني . ١٣ / ١٩٠-١٩١ .
(٢) ابو خراش الهذلي : اسمه خويلد بن مرة : شاعر فعل ادرك الجاهلية والاسلام . مات في خلافة عمر بن
الخطاب . نهشته افعى فمات . وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه . انظر الأغاني ؛ ٢٠٥/٢١ .
(٣) في الأغاني : « تزيد وتزود واحد ، من الزاد » .
(٤) الكليب : من الكلب بمعنى الظمأ . ويغبقه : يسقيه مساء ، ومعنى البيت في حاشية الأغاني : « ينادي
ابو خراش الظامي خراشاً ليسقيه اللبن مساء ، فلا يجيب وهذا سفه وعقوق منه » .
(٥) الفريد : اللؤلؤ ؛ شبه به الدمع .
(٦) الهاء في « غابقه » تعود على « كليب » : ابي خراش . والحار : جمع حرة ؛ الأرض فيها حجارة سوداء
أي اصبح بين ابي خراش وساقيه - يعني خراشاً - جبال . « حاشية الأغاني ؛ ٢٢٧/٢١ .
(٧) انظر الاصابة : ت : ٢٧٨٨ .
(٨) البيان والتبيين ؛ ١٤٧/١ .
(٩) الطرير : المحدد من الأسد . ومن الناس ذو الرواء والمنظر .

فوفّقني الرحمن لما لقيته وللباب من دون الحصوم صرير
فقلت له قولاً أصاب فؤاده وبعض كلام الناطقين غرور

عمر وشهر عمر في كتب البلاغة والنقد الأدبي ، شهرته في العدل .
ونقد الأدب قالوا : فلو قلت : « الخليفة العادل » لما تبادر الى ذهن غيره .
ونقول : لو قلت : « الخليفة الناقد » لما تبادر الى ذهن قراء البلاغة
والنقد الأدبي غيره ايضاً . يقول ابن رشيّق عنه : « وكان عمر — من أنقد أهل
زمانه للشعر ، وانفذهم فيه معرفة (١) » . وإننا نقرأ أمّهات كتب النقد الأدبي
والبلاغة عندنا فنرى اسم عمر بن الخطاب يدور فيها ناقداً كبيراً وبليغاً كبيراً نرى
هذا في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وفي كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ،
وفي كتاب ، العمدة لابن رشيّق ، وفي كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخزرجي
وفي كتاب ؛ المثل السائر لابن الأثير ، وغيرها ...

مرّ بنا انه كان محبّاً للشعر حافظاً له ، على انه كان يقول : « الشعر كلام فحسنة
حسن وقبيحة قبيح (٢) » . ونقده للكلام وللشعر كان ينطلق من هاتين الصفتين : صفة
الحسن وصفة القبح فيه ... ونراه في اشاراته المقتضبة يتعرض لألفاظه ومعانيه . وقد
رجع الى اشاراته هذه كتاب البلاغة والنقد الأدبي عندنا فاتخذوها أساساً في الكثير
من أحاديثهم في البلاغة والنقد . وسنشير الى بعض هذا ونبيّنه في حديثنا هذا عنه .

وقبل ان نأخذ في الحديث عن هذا نبين أن عمر كان يعرف ما للبيان من سلطان
واثر في نفوس سامعيه وذائقيه ، بحيث كان يخاف على نفسه أن يُميله هذا ويعدل
به عن الحق . قال الجاحظ في البيان والتبيين : « قال بعض الربّانيين (٣) من الأدباء
وأهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشادق والتعمق و .. ويعرف ادواء الكلام ودواءه ،
وما يعتري المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول ، وما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع :
انذركم حسن الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام ؛ فان المعنى اذا اكتسى لفظاً حسناً
وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً ، ومنحه المتكلم دلاً متعشّقاً ، صار في قلبك احلى ولصدرك

(١) العمدة ، لابن رشيّق : ٣٣/١ . (٢) رسائل الجاحظ ؛ ١٦٠/٢ .

(٣) الربّانيين : جمع الرباني : العالم الراغب في العلم . (حاشية البيان والتبيين : ٢٥٤/١) .

املا . والمعاني اذا كُسيَت الألفاظ الكريمة ولبست الأوصاف الرفيعة ، تحوّلت في العيون عن مقادير صورها ، وأربت على حقائق أقدارها ، بقدر ما زُينت وحسب ما زُخرفت ، فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض — جمع معرض ، وهو الثوب تجعل فيه الجارية — وصارت المعاني في معنى الجوارى . والقلب ضعيف ، وسلطان الهوى قوي ، ومدخل خُدَع الشيطان خفيّ » .

وبعد ان افاض الجاحظ في اهميته الألفاظ ، واهمية حلاوة مخارج الكلام ، وأثرها في معاني اهل البيان ، قال : « فاذا ذكر هذا الباب ولا تنسه ، ولا تفرط فيه » وكأنه اراد ان يدعم كلامه هذا بالحجة القاطعة ، فلم يجد اولى من ان يقول : « فان عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — لم يقل للأحنف بن قيس ، بعد ان احتبسه حولاً مجرمًا (١) ليستكثر منه ، وليبالغ في تصفّح حاله ، والتنقير عن شأنه :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد خوَّفنا كلَّ منافق عليم ، وقد خفتُ أن تكون منهم ، إلاّ لما كان راعه من حسن منطقته ، ومال اليه من رفقته ، وقلة تكلفه (٢) ... »

وارانا في غير حاجة الى التعليق على قول الجاحظ فيما اشار اليه من ذوق عمر المرهف في احساس أثر البيان في نفسه ، ومن خوفه أن يُسميله البيانُ عن الحق والعدل . وكان عمر يعجبه من الرجل ان يكون بيتاً في منطقته . ويبدو انه كان معجباً بعمر ابن العاص في هذا . قال محمد بن سلام الجمحي (٢) : « كان عمر بن الخطاب — رحمه الله — اذا رأى رجلاً يتلجلج في كلامه قال : خالِقُ هذا وخالِقُ عمرو بن العاص واحد ! » واذا رأى رجلاً يغرب في كلامه — اي يخلط فيه — قال : اشهد أنّ الذي خلقتك ، وخلق عمرو بن العاص واحد (٣) » فكأن عمر يقول هذا تعجباً منه سبحانه وتعالى أن يخلق النقيض والنقيض او يخلق الضد وال ضد في المنطق والبيان . وعمر نفسه كان جيد النطق جيّد البيان ؛ يقول الجاحظ ، وهو يتحدث عن اللسان وقدرته على إقامة الحروف ، واهمية ذلك في البيان : « فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن ، الا ان يكون المتكلم أعر يسراً ، مثل عمر بن الخطاب

(١) حول مجرم : تام كامل .

(٢) البيان والتبيين ؛ ٢٥٥/١ .

(٣) الحيوان — للجاحظ ؛ ٥٨٧/٥ و عيون الأخبار : ١٧١/٢ ، والبيان والتبيين : ٤٧/١ .

رحمه الله ؛ فإنه كان يخرج الضاد من أى شذقيه شاء (١) . ونحن نذكر هذا للبنيين أن الرجل اذا كان مصاباً بعاهة ، ربما تجافى الحديث عن هذه العاهة ، بل ربّما رأى الحديث يُجَرّ به غيره فيها ، تعريضاً به ، وبعايته . ومن هنا نرى عمر لا يرى بأساً في الحديث عن هذا وعن الإعلان عنه ، وعن اهميته . تحدّث سهيل (٢) بن عمرو — وكان خطيباً جيد المنطق ، جيد البيان — بحضرة الرسول الكريم ، بحديث لم يرضه الرسول الكريم ولم يرضه عمر ، فقال عمر للنبيّ — صلوات الله عليه — : « دعني انزع ثنيتي سهيل . ، فلا يقوم علينا خطيباً » (٣) . وفي رواية انه قال : « انزع ثنيتيه السفليين ، حتى يدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً ابداً » (٤) .

وهذا ترى عمر يرى المنطق الحسن واخراج حروف الكلم من مخارجها الصحيحة أوّل عدد الخطابة ، وأوّل عدد البيان . ولعلّ قول عمر هذا هو الذي اوحى الى الجاحظ بالحديث عن اللسان وما يعتريه من عيوب في النطق . وقد فصّل الجاحظ في هذا كلّ التفصيل ، ورآه من الأهمية بحيث جعله الفصل الأول من كتابه « البيان و التبيين » . وعقد ابن سنان الخفاجي فصلاً طويلاً عن الحروف في أوّل كتابه : « سرّ الفصاحة » حتى عابه النقاد (٥) لكثرة ما فصل فيه . وربّما كان متأثراً بهذا في منهجه ايضاً .

وعمر كان يحسّ بما للألفاظ في وقعها وإيحائها ، من أهمية وأثر ، حتى كان يرى اسم الرجل وإيحائه في نفس سامعه ، أوّل ما يعطف النفوس عليه ، او يبعدها عنه . وكأنه يشير الى وجوب التسمية بالاسم الحسن الإيحاء ، اذ يقول : « احبّكم الينا احبّكم اسماءً ... » وفي كتاب الصناعتين : جاء ظالم بن سراق عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ليستعمله فردّه « وقال له كالمتهكّم : انت تظلم وابوك يسرق ! ؟ » وظالم

(١) البيان والتبيين ؛ ٦٢/١ .

(٢) سهيل بن عمرو بن عبد شمس : خطيب قريش ، وهو الذي تولى امر الصلح بالحديبية . وكان من المؤلفة قلوبهم ؛ اعطاه الرسول الكريم مائة من الإبل . مات بالطاعون سنة ثمانى عشرة . — الاصابة ، ت : ٣٥٦٦

(٣) البيان والتبيين ؛ ٥٨/١ .

(٤) السيرة لابن هشام ، والإصابة ؛ ت : ٣٥٦٦ .

(٥) في المثل السائر لابن الاثير : « وكتاب سرّ الفصاحة ، وإن نبه على نكت مثيرة ، فإنه قد اكثّر ، مما قلل به مقدار كتابه ، من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها ... مما لا حاجة الى اكثره » — ٤/١ المثل السائر ؛ طبعة محيي الدين عبد الحميد .

ابن سراق هذا هو جدّ المهلب بن ابي صفرة (١) . وما كان الرجل ليظلم على الحقيقة ولا كان ابوه ليسرق ، وانما هو ايهاء اسمه هو الذي باعد عمر عن الميل اليه . وقالوا : « لقي عمر بن الخطاب رضى الله عنه مسروق بن الأجدع ، فقال له : من انت ؟ قال : مسروق بن الأجدع . قال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الأجدع الشيطان (٢) . قالوا : واقبل رجلٌ اليه ، فقال عمر : ما اسمك ؟ فقال : شهاب بن حرقة . قال : ممن ؟ قال : من اهل حرّة النار . قال : أين مسكنك ؟ . قال : بذات لظى . قال عمر ، : اذهب فإنّ اهلك قد احترقوا (٣) . »

وقد يكون في هذا الحديث بعض التزيّد ، ولكنه — على أيّ حال — يرينا مقدار إحساس عمر بإيهاء الأسماء او بإيهاء الألفاظ .

ويبدو ان ايمانه العميق كان يوجّهه بما يجعله يحبّ بعض الألفاظ ، ويكره بعضها قالوا تزوّج امرأةً كانت تسمى « العاصية » فصير اسمها الى « جميلة » . وواضح أنه كره « العاصية » لأنها توحى بالمعصية وما إليها من الألفاظ تكون غير حسنة الإيهاء عند المسلم المتشرّب بروح الإسلام . وناهيك بما بين ايهاء الإسمين من بؤن . وعن زيد (٤) بن اسلم عن ابيه ، قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — الى حرّة واقم (٥) ، حتى اذا كنّا بصرار (٦) ، إذ نار ، فقال : يا أسلم ! إنى أرى ههنا ركبا قد ضربهم الليل والبرد ، انطلق بنا ... فخرجنا نهروا ، حتى دنونا منهم ، فإذا

(١) كتاب الصناعتين — لابی هلال العسكري ؛ ص : ١٥٢ وفي العقد الفريد : « ظالم بن سراق » بدلا من : ظالم بن سراق ٣٠٠/٢ .

(٢) العقد الفريد : ٣٠١/٢ .

(٣) العقد الفريد ، لابن عبد ربه : ٣٠٠/٢ .

(٤) زيد بن اسلم العدوى العمري : ابو اسامة او ابو عبدالله : فقيه مفسر من اهل المدينة . كان مع عمر بن عبدالعزيز ايام خلافته . واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة ، الى دمشق مستفتياً في امر . وكان ثقة ، كثير الحديث ، له حلقة في المسجد النبوي وله كتاب في التفسير — تذكرة الحفاظ : ١٢٤/١ . وتهذيب التهذيب ؛ ٣٩٥/٣ — والزركلي الاعلام : ٩٥/٣ .

(٥) حرّة واقم ؛ واقم : اطم من أطام المدينة . وحرّة واقم مضافة اليه .

(٦) والبصرار : المكان المرتفع ، وبصرار : اسم جبل .

بامرأةٍ معها صبيان ، وقدر منصوبة على نار ، وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا اصحاب الضوء ، وكره ان يقول : اصحاب النار « وواضح أنه كره هذا ، لدوران هذه العبارة في القرآن الكريم ، ؛ في مثل قوله تعالى : « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار (١) » وقوله : « بلى من كسب سيئةً ، واحاطت به خطيئته فأولئك اصحاب النار (٢) » . وقوله : « إني اريد ان تبوءَ بإثمي وإثمك فتكون من اصحاب النار (٣) » .

وجاءه رجل يقول إنه يستأذن لأبي عيسى على امير المؤمنين ، فقال عمر : أيكم ابو عيسى ؟ قال المغيرة بن شعبة : انا ، فقال عمر — كالمستنكر ذلك عليه — : وهل لعيسى من أب ؟! اما يكفيكم معاشر العرب ان تكتنوا بأبي عبدالله وابي عبدالرحمن ؟! قالوا : وكنّاه : ابا عبدالله (٤) .

وسمع منادياً ينادى : ياذا القرنين ! فقال عمر — كالمعتف له : أفرغتم من اسماء الأنبياء فارتفعتم الى اسماء الملائكة ؟!

هذا حسه — رضى الله عنه — في الألفاظ وإيحائها . وقد يكون في بعض هذه الروايات ما تزيد فيه ، ولكنه ، حتى في حالة التزيّد ، يرينا ما لحظوه من احساس عمر في الألفاظ وتأثره بإيحائها .

واذا نحن جاوزنا الألفاظ الى المعاني ، رأينا يوجه الى ما يجعل التعبير واضحاً ، ولا اثر فيه لتعمية أو غموض . سأل رجلاً مرةً عن شيء ، فقال الرجل : الله اعلم . فقال عمر : « قد خزيننا ان كنا لا نعلم أن الله اعلم . إذا سئل احدكم عن شيء ؟ ؛ فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لا يعلمه قال : لا علم لي بذلك (٥) » . وسمع رجلاً يقول : اللهم اجعلني من الأقلين ! قال عمر : ما هذا الدعاء ؟ فقال الرجل : إني سمعت الله عز وجل ، يقول : « وقليل من عبادى الشكور » وقال : « وما آمن معه إلا قليل » . قال عمر : عليكم من الدعاء بما يُعرف .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٨١ .

(٤) الأغاني ؛ ٨٨/١٦ .

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٣٩ .

(٣) سورة المائدة ؛ الآية : ٢٩ .

(٥) كتاب الحيوان للجاحظ ؛ ٣٣٨/١ .

وامتدح عمر زهير بن ابي سلمى ، وسمّاه شاعر الشعراء ، لوضوح شعره . يروي ابن عباس ان عمر قال له : هل تروي لشاعر الشعراء ؟ : قال : قلتُ ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو ان حمداً يُخلدُ الناسَ أُخلدوا

ولكنَّ حمداً الناسَ ليس بمُخلد

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعر الشعراء ! قلت : وبم كان شاعر الشعراء ! ؟ قال : لأنه لا يعاظم في الكلام ويتجنب وحشي الشعر (١) .

وفي رواية اخرى ؛ قال ابن عباس : « خرجت مع عمر في اول غزوة غزاها ، فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس ! انشدني لشاعر الشعراء . قلت : ومن هو يا امير المؤمنين ؟ قال : ابن ابي سلمى . قلت : وبم صار كذلك ! ؟ قال : لأنه لا يتبع حوشي الكلام ، ولا يعاظم في المنطق ، ولا يقول الا ما يعرف . ولم يمدح الرجل الا بما فيه اليس الذي يقول :

اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية من المجد من يسبق اليها يسود

سبقت اليها كل طلق مبرز سبوق الى الغايات غير مُزَنَّد (٢)

كفعل جواد يسبق الخيل عفوهُ السراع وإن يجهد ويجهدنَ يبعد (٣)

ولو كان حمداً يخلد الناس لم تمت

ولكنَّ حمداً الناس ليس بمُخلد

(١) الأغاني ؛ ٢٨٩/١٠ .

(٢) يقال : رجل طلق اليدين : اذا كان معطاء . وظاهر انه يريد ان يصف الجواد بأنه ماض يجود بما عنده من العدو . والمبرز : الذي سبق الناس الى الكرم والخير . والمزند هنا : البخيل او اللئيم .

ويروى البيت « غير مجلد » اي ينتهي الى الغايات من غير ان يجلد او يضرب . حاشية الأغاني ؛ ٢٩١/١٠

(٣) وفي الديوان :

كفضل جواد الخيل يسبق عفوهُ الـ

سراع وإن يجهدن يجهد و يبعد

انشدني له ، فأنشده حتى برق الفجر (١) »

وقد ذهب النقاد مذاهب في تحديد معنى « المعاظلة » هذه في كلام عمر . قال الأصمعي : يعاظم بين الكلام يداخل فيه . وقال العسكري : « فمن سوء النظم المعاظلة وقد مدح عمر بن الخطاب زهيراً لمجانبتها » وقال : « واصل هذه الكلمة من قولهم : تعاظلت الجرادتان : اذا ركبت احدهما الأخرى (٢) » ثم ساق ابو هلال امثلة للمعاظلة توضّحها ، في رأية ، من شعر الفرزدق .

وقال ابو هلال : « وقال قدامة (٣) : لا اعرف المعاظلة إلاّ فاحش الاستعارة مثل قول أوس :

وذات هدم عار نؤشرها

تصمت بالماء تولباً جديعاً

فسمى الصبيّ تولباً ، والتولب : ولد الحمار » قال ابو هلال : وهذا غلط من قدامة كبير؛ لأن المعاظلة في اصل الكلام إنما هي ركوب الشيء بعضه بعضاً ، وسمى الكلام به إذا لم يُنضد نضداً مستويّاً ... والدليل على ما قلنا أنك لا ترى في شعر زهير شيئاً من هذا الجنس ، ويوجد في اكثر الفحول ، نحو ما نفاه عنه عمر رضى الله عنه (٤) » وقال ابن سنان الخفاجي : « ومن وضع الألفاظ موضعها اللائق بها ، ألا يكون الكلام شديد المداخلة ، يركب بعضه بعضاً . وهذه هي المعاظلة التي وصف عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — زهير ابن ابي سلمى بتجنبها ، فقال : كان لا يعاظم بين الكلام . وردّ على قدامة ايضاً ، وقال : ويبيّن خطأه فيها ابو القاسم الحسن بن بشر الأمدى رحمه الله (٥) » .

(١) الأغاني ؛ ٢٩٠/١٠ - ٢٩١ .

(٢) كتاب الصناعتين ؛ ص : ١٦٢ .

(٣) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي : كاتب من البلغاء الفصحاء ، المتقدمين في علم المنطق والفلسفة . كان في ايام المكتفى بالله العباسي . توفي ببغداد ، ويضرب به المثل في البلاغة له كتب ، منها : « نقد النثر » و « نقد الشعر » و « جواهر الألفاظ » - انظر : النجوم الزاهرة : ٩٧/٣ وارشاد الأريب : ٢٠٣/٦ - ٢٠٥ ، والأعلام - للزركلي ؛ ٣١/٦ .

(٤) كتاب الصناعتين : ١٦٣ .

(٥) سر الفصاحة - لابن سنان الخفاجي ، ص : ٨٣ .

وتحدث ابن الأثير في هذا ، في « المثل السائر » ، وقسم المعازلة الى لفظية ومعنوية ، قال : « ووصف عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - زهير ابن ابى سلمى فقال : كان لا يعاقل بين الكلام (١) » قال ابن الأثير : « وقد اختلف علماء البيان في حقيقة المعازلة » واورد رأي قدامة ابن جعفر (٢) ، ورأي أبى هلال العسكري ، ويبن ميله الى رأي أبى هلال ثم شرح المعازلة بتفصيل غير قليل ؛ اذ قسم المعازلة الى لفظية ومعنوية ، وراح يشرح المعازلة المختصة بأدوات الكلام ؛ في الحروف وفي حروف الجرّ خاصة ، ويشرحها في تكرير الحروف في اللفظة الواحدة « وفي الألفاظ يضاف بعضها الى بعض ، ويشرحها في المنافرة بين الألفاظ في السبك ، وقد استغرق هذا صفحات كثيرة من كتابه المثل السائر (٣) . هذا كله في المعازلة اللفظية اما المعازلة المعنوية فأدارها في ابواب متفرقة من كتابه .

اما الحديث عن وحشي الألفاظ ، فقد جعله مؤلفو البلاغة في مقدمة احاديثهم عن الفصاحة . وقلّ ان تجد كتاباً من كتبهم في البلاغة والنقد الأدبي ، لا يطيل الحديث عن الألفاظ الوحشية والغريبة . ونرى من الإطالة ان نتعقب هذا في كتبهم (٤) . ونعود الى عبارة عمر - رضى الله عنه - في زهير « : ولم يمدح الرجل الا بما فيه فنى لها جانبين ؛ جانب اخلاقي وجانب فنى . ونحن نقدّم الجانب الاخلاقي على الجانب الفنّي ، لأن عمر ، كما مرّ بنا في سيرته ، تفضله على الجانب الفنّي ، وقد رأيناه يكتب للمغيرة بن شعبة (٥) بأن يعنى بتدوين الشعر الإسلامي خاصة ، هذا مع علمه ، وهو البصير بالشعر ، بأن في الجاهليّ ما هو افضل ، من الناحية الفنّيّة ، منه . ثم رأيناه يشيب لبيد بن ربيعة حين كتب شيئاً من سورة البقرة ، وأعطاه للمغيرة ، وقال : « إن الله - سبحانه وتعالى - عوّضه بالقرآن عن الشعر . نقول : إن عمر فضّل زهيراً ؛ لأنه يمدح الرجل بما فيه ، فيكون الشاعر في هذه الحالة . صادقاً صدقاً اخلاقياً ،

(١) المثل السائر : ٢٩٢/١ طبعة محيي الدين عبد الحميد .

(٢) انظر نقد الشعر - لقدامة بن جعفر - طبعة الجوائب ؛ ص : ٦٩ .

(٣) انظر « المثل السائر » : ٢٩٢/١ - ٣١٠ طبعة محيي الدين عبد الحميد

(٤) انظر « المثل السائر » : ١٥٥ - ١٦٨ طبعة محيي الدين عبد الحميد .

(٥) انظر ص ٥٦ من هذا المقال .

وصديقاً ادبياً أو فنياً ايضاً . ومعلوم ان الشاعر حين يقول وهو يدري أنه كاذب فيما قال لا تكون لعاطفته أو لنفسه هذا الحماس الذي يدفعه الى القول ، و الى الإجادة فيه . قالوا : سئل ابن المقفع عن قول عمر رحمه الله : « ما يتصعدني (١) كلام كما تتصعدني خطبة النكاح » فقال : ما اعرفه إلا ان يكون اراد قرب الوجوه من الوجوه ، ونظر الحدق من قرب في اجواف الحدق ، ولأنه اذا كان جالساً معهم ، كانوا كأنهم نظراء أو اكفاء . فإذا علا المنبر صاروا سوقة ورعيّة . قال الجاحظ : « وقد ذهب ذاهبون الى أن تأويل قول عمر ، يرجع الى أن الخطيب لا يجد بداً من تزكية الخاطب فلعله كره أن يمدحه بما ليس فيه ، فيكون قد قال زوراً ، وغرّ القوم في صاحبه (٢) ونحن أميل الى الرأي الذي ساقه الجاحظ على لسان هؤلاء الداهيين غير المذهب الذي ارتضاه ابن المقفع ؛ ذلك لأنه يتسق وما يرتضيه عمر من الناحيتين ؛ الخلقية والفنية . اما رأي ابن المقفع وفحواه : ان عمر يهون عليه أن يخاطب الناس اذا كان على المنبر ، وكأن الناس سوقة أو رعيّة . وتشق عليه مخاطبتهم اذا كانوا اكفاءً ، وآهم والوجوه قريبة من الوجوه ، والحداق تنظر في اجواف الحداق ، كما يقول الجاحظ ، فلا نراه يتسق مع شخصية عمر الجريئة غير الهيّابة . لقد كان يدلي برأيه ، حين يرى فيه الصديق والحق . وقد كان لا يمنعه من هذا ان يكون الرأي مخالفاً للرسول الكريم صلوات الله عليه ، مع ما للرسول الكريم في نفس عمر (٣) . وفي الأغاني : « قال اسحق ... عن الشعبي ، قال : رأيت دَغَفَلاً النسابة يحدث أنه رأى العباس بن عبدالمطلب ، سأل عمر عن الشعراء ، فقال : « امرؤ

(١) تصعده الأمر تصعداً : شق عليه ؛ كتصاعده .

(٢) البيان والتبيين ؛ ١١٧/١ .

(٣) انظر حديثنا عن عمر والرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في مقالنا السابق . وانظر مخالفة عمر للرسول الكريم وابى بكر رضى الله عنه ، في شأن اسرى بدر ، وموافقة القرآن الكريم لرأى عمر ، في سيرة عمر بن الخطاب - لابن الجوزي ؛ ص : ٣٥ . وانظر حديث عبدالله بن ابى ، المشهور بابن سلول ؛ رأس المنافقين في الإسلام من اهل المدينة . كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم . أظهر الاسلام - تقية - بعد وقعة بدر . وكلما سمع ببيعة على المسلمين نشرها . ولما مات تقدم النبي (ص) فصلى عليه ، ولم يكن ذلك من رأى عمر ، فنزلت الآية الكريمة : « ولا تصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره ، انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » التوبة ؛ الآية : ٨٣ .

القيس سابقهم ؛ خسف لهم عن الشعر فافتقر عن معان عور اصحّ بصراً » ثم يأخذ ابو الفرج في تفسير قول عمر هذا وبيانه ، فيقول : قال اسحق : معنى خسف : احتفر . وهو من كندة من اليمن وليست لهم فصاحة مُضَر ، ولا شعرهم بجيد . فجعل معاني اليمن معاني عوراً ، وما قاله : اصحّ بصراً أي اجود شعراً . ومعنى افتقر : احتفر . والفقيرة : الحفيرة تحفر للفسيلة لتغرس . وكلّ ما ابتدأت حفره فهو فقير . والمعنى : أنه قال شعراً جيداً ، وليس هو في معنى شعر مضر (١) .

ويجري النقاد في ربح عمر في هذا ، على نحو ما ساروا في امر حديثه عن المعازلة ؛ يقول ابن رشيّق « وقد قال العلماء بالشعر : ان امرأ القيس لم يتقدم الشعراء ، لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنّه سبق الى اشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها . لأنّه قيل : أوّل من لطّف المعاني ، واستوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبّه الخيل بالعقبان والعصيّ ، وفرّق بين النسيب وما سواه من القصيدة ، وقرب مأخذ الكلام فقيّد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه (٢) » .

وفي حديث للشعبيّ (٣) أنّ عبد الملك بن مروان — قال له : ما تقول في النابغة ؟ ، قال : قلت يا امير المؤمنين ! قد فضّله عمر بن الخطاب في غير موطن على الشعراء اجمعين ، وببابه وفد غطفان ، فقال : يامعشر غطفان ، أيّ شعرائكم الذي يقول :

حلفتُ فلم اترك لنفسك ربيّةً	وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنتَ قد بُلّغت عني خيانةً	لمبلغك الواشي اغش وأكذب
ولست بمستبقٍ اخاً لا تلمه	على شعثٍ . أيّ الرجال المهذب ؟

قالوا : النابغة ، يا امير المؤمنين .

قال : فأيكم الذي يقول :

(١) الاغانى ؛ ١٩٩/٨ . وانظر العمدة لابن رشيّق ؛ ٩٤/١ .

(٢) العمدة ؛ ٩٤/١ .

(٣) الشعبي : عامر بن شراحيل ، راوية من التابعين . يضرب المثل بحفظه . اتصل بعبد الملك بن مروان ، وكان سميره ورسوله الى ملك الروم . وهو من رجال الحديث الثقات . استقضاة عمر بن عبدالعزيز . وكان فقيهاً شاعراً — انظر : تاريخ بغداد ؛ ٢٢٧/١٢ توفي في اوائل القرن الثاني الهجري .

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطايفُ حجن في حبال متينة تمدُّ بها ايديك نوازع
قالوا : النابغة . قال : فأبيكم الذي يقول :

الى ابن مُحَرَّقٍ أعملتُ نفسي وراحلتي وقد هدأت العيون
اتيتك عارياً خَلَقاً ثيابي على خوف تُظَنُّ بي الظنون
فألفيتُ الأمانةَ لم تخنهما كذلك كان نوحٌ لا يخون

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا اشعر شعرائكم (١) .

ويحسّ القارئ من أوّل الحديث أن الشعبي يتابع عمر في رأيه ، ويقول وكأنه يؤكد ما رآه عمر : «فضله في غير موطن» ويأتي بلفظة « اجمعين » بعد الشعراء يؤكد بها ، ثم لا يلبث أن يذكر الأبيات المختارة للنابغة ، وقد أنشدها عمر ، وفضله من أجلها .

وننظر فيها الآن ، فنرى البيتين الأولين في الاعتذار ، وقد اشاع فيهما العاطفة والأسف ، والبيت الثالث يحار القارئ في نسبته الى فنّ من فنون الشعر عندهم . ولله ان يقول : إنه في الاعتذار ايضاً ، إذا أن النابغة يريد أنه قد زلّ ، ومن ذا الذي لا يزلّ ولا يهفو ؟ وهو في الوقت ذاته رجاء ودعوة لتجاوز الزلّة ، لأن من يسلك غير هذا لا يُبقي على اخ او صديق لنفسه ؛ فالبيت بهذا حكمة ونصيحة ايضاً .

ولقد اعجب النقاد العرب ببيت النابغة هذا ، حتى قال عنه العسكري ؛ ابو هلال ، وقد امتلأت نفسه إعجاباً به ، : «وليس لهذا البيت نظير في كلام العرب (٢) والبيتان التاليان شيبَ فيهما الاعتذار بالمديح ؛ إذ صورَ نفسه خائفاً ، توهمه الفجاجة الواسعة ، وتغريه بأن يمعن في الهرب ، ويبعد عن وجه طالبه . وصوّر طالبه ، وقد تناهت قوته وتنهت حوله كالليل يغشى كلَّ كائن ، ولا منجى منه لهارب مهما اتسعت سبله واتسعت فجاجه . وهو بقوله الموجز هذا يصوّر صورتين ؛ احدهما هاربة ، تنهت فيها الخوف . وتنهت فيها الحيرة ؛ حتى لا تستطيع ان تستقر ، واخرى تتعقبها

(١) الأغاني : ٢٢/١١ .

(٢) كتاب الصناعتين ؛ ص : ٧٥ .

وتتبعها ، وهي من الحول والقوة بحيث لا يفوتها شيء ، ولا يعجزها شيء . وأيُّ اعتذار وأيُّ مديح ابعث من هذا ؟!

والأبيات الثلاثة الأخيرة هي اعتذار يستلُّ السخينة ويستدرّ العطف .
وهكذا ترى عمر رأى النابغة اشعر الشعراء باعتذارياته هذه ، او بمديحه هذا .
وعندنا أنّ النقاد جروا بريح عمر ، واخذوا برأيه حين قالوا : « إن النابغة اشعر الشعراء اذا رهب (١) »

ومن مواقف عمر في النقد ، أن يستحاكم اليه — وهو الخليفة العادل — في الهجاء .
روى ابو الفرج الإصبهاني حديثاً طويلاً في اخبار هجاء الخطيئة للزُّبرقان بن بدر .
واستعداء الزُّبرقان عمر عليه . وملخصه : أن الرسول الكريم كان ولي الزُّبرقان بن بدر عملاً ... واقره ابو بكر — رضى الله عنه — عليه . ثم قدم على عمر في سنةٍ مجدبة ليؤدي صدقات قومه ، فلقبه الخطيئة وشكا اليه السنّة ، فبعثه الزُّبرقان الى قومه فأكرموا وفادته . وكان آل بغيض بن عامر بن شمّاس ينازعون الزُّبرقان الشرف ، وكانوا اشرف دونه ، إلاّ أنه استعلاهم بنفسه . وطلبوا الى الخطيئة — وكان رسولهم اليه شمّاس بن لبي وبغيض بن شمّاس — ان يتحوّل عن آل الزُّبرقان اليهم وتردّد الخطيئة في هذا ، ثم تحوّل اليهم ، وقال سينيته التي يهجو بها الزُّبرقان ، ويناضل عن بغيض ، وفيها :

والله ما معشرٌ لاموا امرأً جنباً	في آل لبي بن شمّاس بأكياس (٢)
ما كان ذنب بغيضٍ لا أبالكم	في بائسٍ جاء يحذو آخر الناس
لقد مريتكم لو أنّ درّتكم	يوماً يجيئ بها مسحي وابساي (٣)
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم	كيما يكون لكم منحى وإمراسي (٤)
لما بدا لي منكم عيبٌ انفسكم	ولم يكن لجراحي فيكم آسي
أزمتُ يأساً مبيناً من نوالكم	ولن يرى طارداً للحُرّ كاليفاس
جارٌ لقومٍ أطالوا هُـونَ منزله	وغادروه مقيماً بسين ارمساس

(١) كتاب الصناعتين ٤ ص : ٢٣ . والعمدة ٩٥/١ .

(٢) الجنب : الغريب .

(٣) مري الناقة : مسح ضرعها لتدر . والإبساس : أن يسكنها عند الحلب .

(٤) الماتح : المستقى الذي يجذب الدلو من فوق . والإمراس : ان يقع الحبل في جانب البكرة فيخرجه .

ملّوا قِراه وهرّته كلابُهم
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
من يفعل الخير لا يعدمْ جَوازِيَه
ما كان ذنبِي أن فلّت معاوِلکم
قد ناضلوك فسكّوا من كنائهم
قالوا : فاستعدى عليه الزُّبرقانُ عمرَ بن الخطاب ، فرفعه عَمَر اليه واستنشدته
فأَنشدته ، وقال : إنه هجاني ، وقال لي :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنّسك انت الطاعم الكاسي

ويبدو ان هذا البيت ، كان اوجع ابيات التصيدة هجاءً للزُّبرقان .. قالوا : فقال عمر :
ما اسمع هجاءً ، ولكنها معاتبة . فقال الزُّبرقان : أوّما تبلغ مروءتي إلاّ ان آكل
والبس !؟ فقال عمر : عليّ بحسّان . فجئني به ، فسأله فيبيّن أنه نال منه وقسا عليه
في الهجاء ، وقالوا : إن عمر سأل لبيد (٢) بن ربيعة عن ذلك ، فقال : ما يسرّني أنه
لحقني من هذا الشعر ما لحقه ، وأنّ لي حُمُرَ النّعم (٣) . فأمر عمر بحبس الخطئية
فحبس ، وصار يستعطف عمر بالشعر من سجنه ، وعمر لا يلتفت اليه ، حتى قال
ابياته التي فيها :

ماذا تقول لأفراخ بنى مَرخٍ

زُغِب الحواصل لا ماء ولا شجر (٤)

-
- (١) انكاس : جمع نكس ، وهو اضعف السهام . وفي « اللسان » : ومعنى البيت ان العرب كانوا اذا اسروا
أسيراً خيروه بين التخلية وجز الناصية ، وبين الأسر ، فإن اختار جز الناصية جزوها وخلوا سبيله ، ثم
جعلوا ذلك الشعر في كنائهم ، فإذا افتخروا اخرجوه واروه مفاخرهم . وانظر حاشية الأغاني ؛ ١٨٥/٢
- (٢) لبيد بن ربيعة بن مالك : احد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، من اهل عالية نجد . وقد عل
النبي الكريم واسلم ، وترك الشعر في الإسلام . سكن الكوفة وعمر طويلا . وهو احد اصحاب المعلقات .
- (٣) النعم : الإبل والشاء ، او خاص الإبل ، وحمير النعم : كرائمها وجيادها .
- (٤) ذو مرخ : واد بالحجاز . وزغِب الحواصل ، ويروى : « حمير الحواصل » يريد خلو جلودها من
الريش لقرب عهدها بالحياة .

أَلْقَيْتَ كَاسَهُمْ فِي قَعْرِ مَظْلَمَةٍ

فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عَمْرُ

فأُخْرِجَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَيَّاكَ وَهَجَاءُ النَّاسِ ، قَالَ : إِذَا يَمُوتُ عِبَالَى جَوْعاً ؛ هَذَا مَكْسَبِي وَمِنْهُ مَعَاشِي . قَالَ : فَإِيَّاكَ وَالْمُقْدِرَ مِنَ الْقَوْلِ ، قَالَ : وَمَا الْمُقْدِرُ ؟ قَالَ : أَنْ تُخَايِرَ بَيْنَ النَّاسِ ؛ فَتَقُولَ : فَلَانٌ خَيْرٌ مِنْ فَلَانٍ ، وَآلُ فَلَانٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ فَلَانٍ . قَالَ : فَأَنْتَ — وَ اللَّهِ — أَهْجَى مِنِّي . فَقَالَ عَمْرُ : وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَكُونَ سُنَّةً لَقَطَعْتَ لِسَانَكَ وَلَكِنْ أَذْهَبُ فَأَنْتَ لَهُ . خَذْهُ يَا زَبْرَقَانَ . فَأَلْقَى الزَّبْرَقَانُ فِي عُنُقِهِ عِمَامَةً فَأَقْتَادَهُ بِهَا ... (١) «

وَنَنْظُرُ فِي آيَاتِ الْحَطِيطَةِ هَذِهِ فَنَرَاهَا فِي جَمَلَتِهَا هَجَاءً بِتَعْرِيتِهِمْ مِنْ إِكْرَامِ الضَّعِيفِ ، وَنَعْتِهِمْ بِالْبَخْلِ . وَقَدْ بَالِغٌ فِي وَصْفِهِمْ بِالْبَخْلِ الَّذِي يَبَيِّنُ أَنَّهُ صِفَةٌ لَازِمَةٌ لَهُمْ ، وَأَنَّهُ حَاقِلٌ جَاهِدًا أَنْ يَزْحَزِحَهُمْ عَنْهُ ، فَعَلَّ الْحَالِبُ تَسْتَعْصِي عَلَيْهِ النَّاقَةَ بِدَرَّهَا فَيُرَوِّحُ يَغْرِيبَهَا بِمَسْحِ ضَرْعِهَا ، ثُمَّ يَزِيدُ بِأَنَّهُ مَدَحُهُمْ لِيَغْرِيبَهُمْ بِالْكَرَمِ ، وَلَكِنْ مَدِيحُهُ هَذَا لَمْ يُوَثِّرْ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَزْحَزِحَهُمْ عَنْ بَخْلِهِمْ .

وَأَنَّهُ حِينَ يَثْسُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ كَرَّمَهُمْ ، لَمْ يَجِدْ بَدَأً مِنْ أَنْ يَعُودَ إِلَى نَفْسِهِ وَيَقْنَعَهَا بِالْيَأْسِ مِنْ نَوَالِهِمْ ، فَيَتْرَكُهُمْ بَعْدَ أَنْ مَلَّوْا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كَلَابُهُمْ ، وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَاضْرَاسٍ . ثُمَّ يَخْتَمُ حَدِيثَهُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّهَكُّمِ اللَّاذِعِ الْمَوْجِعِ ، بِقَوْلِهِ : « دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغِيَّتِهَا ... »

وَبَعْدَ أَنْ يَبَالِغَ فِي وَصْفِهِمْ بِالْبَخْلِ ، وَيَعْنَتُهُمْ ابْلِغَ التَّعْنِيفِ عَلَى هَذَا ، يَعُودُ فِيهِجُوهُمْ بِالْمُقْدِرِ مِنَ الْهَجَاءِ ، عَلَى النِّحْوِ الَّذِي أَشَارَ بِهِ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — وَذَلِكَ بِأَنْ يَقَارِنَهُمْ بِآلِ شِمَّاسٍ ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ بَزَّوْهُمْ وَغَلَبَوْهُمْ فَخَارًا . وَإِنْ مَعَاوِلُ بَنِي الْعَجْلَانِ قَدْ فَلَّتْ حِينَ لَاقَتْ صَفَاةَ رَاسِيَةِ مِنْ آلِ شِمَّاسٍ . وَأَنَّهُمْ بِمَنَاضِلَتِهِمْ لَهُمْ لَاقُوا « مُجَدِّدًا تَلِيدًا وَنَبِلًا غَيْرَ انْكَاسٍ » فَيَبَيِّنُ أَنَّهُمْ تَنَاهَوْا فِي الْبَخْلِ وَفِي الضُّعْفَةِ ، عَلَى حِينِ تَنَاهَى آلُ شِمَّاسٍ بِالْكَرَمِ ، وَبِالْمُجْدِ التَّلِيدِ .

هذه واحدة ! والثانية ان تميم (١) بن مقبل استعداه على النجاشي (٢) ، لأنه قال
في قومه ؛ بني العجلان ، يهجوهم :
إذا الله عادى أهل لؤم وذلة

فعادى بني العجلان ؛ رهط ابن مقبل
فقال عمر : انما دعا ؛ فإن كان مظلوماً استجيب له ، وإن كان ظالماً لم يستجب له .
فقالوا : إنه قال :

قبيلة لا يغدرون بدمية
ولا يظلمون الناس حبة خردل
فقال عمر - رضى الله عنه - ليتني من هؤلاء ! أو قال : ليت آل الخطأب كذاك !
قالوا : فإنه قال :

ولا يردون الماء إلا عشيّة
إذا صدر الوراد عن كل منهل
قال عمر : ذاك اقل للسكاك ؛ يعنى الزحام . قالوا : فإنه قال :
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من كعب بن عوف ونهشل
فقال عمر : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه . قالوا : فإنه قال :
وما سُمي العجلان إلا لقولهم :
خذ القعب و احلب أيتها العبد واعجل
فقال عمر : كلنا عبيد الله ! وخير القوم خادمهم . قالوا : وقال :

(١) تميم بن مقبل : شاعر جاهلي مخضرم . ادرك الإسلام واسلم ، وعاش نيفاً ومئة سنة ، وكان يهاجي النجاشي
الشاعر .

انظر : ابن سلام في كتابه : طبقات الشعراء ؛ ص : ٣٤ .

(٢) النجاشي : قيس بن عمرو بن مالك . شاعر هجاء مخضرم ؛ اشتهر في الجاهلية والإسلام . اصله من
نجران باليمن . انتقل الى الحجاز ، واستقر بالكوفة ، وهجا أهلها . ضربه علي - رضى الله عنه - على السكر
في رمضان . وله مدائح في معاوية توفى نحو سنة ٤٠ هـ .

انظر : « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، ص : ١١٥ .

اولئك اولاد الهجين واسرة الـ

ليشسم ، ورهط العاجز المتدلل

قال عمر : أما هذا ، فلا أعذر عليه . وحبس الشاعر ، وضربه ، وأذره لثن عاد
ليضاعفن له العقاب (١) .

وفي رواية : أنه سأل حسّان بن ثابت ، فبيّن انه هجاهم أشدّ الهجاء .
قال ابن رشيّق : « وكان عمر — رضى الله عنه — ابصر الناس بما قال النجاشيّ ،
ولكنه اراد ان يدرأ الحدّ بالشبهات » فلما قال حسّان ما قال ، سجن النجاشيّ ، وقيل :
إنه حدّه (٢) .

وننظر في ابيات النجاشيّ هذه ، والنجاشيّ شاعر بصير بالهجاء ، فنراه ينحي
باللائمه على بني العجلان ؛ رهط ابن مقبل ، اذ يجعلهم « اهل لؤم وذلة » . ولعلّ
لفظة « الذلة » اوجع في الهجاء للجاهليّ الذي لم تتملأ نفسه بروح الإسلام . ومن هنا
نرى النجاشيّ — وهو البصير بالهجاء — يجاور اللفظة الثانية في بيته ؛ لفظة « اللؤم »
التي قرنها ، ويروح يمعن في الإفاضة بالمعاني التي تنطوي عليها « الذلة » فيتبع حديثه
في البيت الأول بحديثه في البيت الثاني الذي يبدؤه بلفظة : « قبيلة » بالتصغير ، والتصغير
عندهم ، يدل — في الغالب — على التقليل والتحقير ايضاً ، ثم يتبع وصف
« القبيلة » هذه بشرح واف ، هو مديح عند المسلمين الذين تملأوا بروح الإسلام . ولكنه
هجاء ، اوجع الهجاء عند الذين ظلموا على مشلهم العربية الجاهليّة ؛ إن الكثرة
عندهم عنوان العزّة والمنعة والقوة ، ومشهور قولهم : « وانما العزّة للكائر » ومشهور قول
عمرو بن كلثوم في فخره بمعلّقه :

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا

وماء الجر نملؤه سفينا

(١) انظر : « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ؛ ٢٩١/١ ، وانظر العقاد ؛ في كتابه : « عبقرية عمر » ؛ ص
٢٨٩ .

(٢) العمدة — لابن رشيّق : ٥٢/١ .

وشطر بيت النجاشي : « ولا يظلمون الناس حبة خردل » مديح عند المسلم ولكنه اوجع الهجاء ايضاً عند الجاهلي ؛ لأن الظلم عنده عنوان القوة والغلبة ايضاً . وعمرو ابن كلثوم يفتخر ايضاً بأن يقول :

نُسِمَتِ الظالمين وما ظالمنا
ولكننا سنبدأ ظالمينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها

ونبطش ، حين نبطش ، قادر ينسا
والبيت الثالث . هو هجاء بالروح الجاهلية ايضاً ؛ فهم لا يردون الماء إلا بعد ان ينقضي النهار ، ويصدر الوراد عن الماء . لأنهم لا يستطيعون مزاحمة الوراد ، وما يفعل هذا عندهم الا الدليل . وعمرو بن كلثوم يفتخر ايضاً بأن يقول :

ونشرب إن وردنا الماء صفواً

ويشرب غيرنا كدرأ وطننا
فيعبر عمرو بهذا الى أنهم هم الذين يسبقون الناس الى الماء ، وإلى ورده ، وأنهم ، اكثرتهم ، لا يتركون للقوم وراءهم الا الكدر والطين . وعلى هذا فكأن قول النجاشي هذا ، انما هو تنمة لمعنى « الذلّة » التي ابتدأها في البيت الأول .

والبيت الذي يليه ، وفيه عبارة : « خذ ... أيها العبد » فيها الهجاء الموجه بصيغتها بلهجة الأمر ، وبمعناها ايضاً ، ولكن عمر - رضى الله عنه - أحالها الى معنى آخر ؛ قلبها به من الهجاء الى المديح ؛ بقوله : « كلنا عبيد الله ، وخير القوم خادهم »

اما البيت الأخير فهو هجاء عند الإسلاميين والجاهليين على السواء ، ولذلك لم يعذر عمر الشاعر عليه ، وآه يستحق الجزاء ؛ وهو الحبس والضرب ، بسببه .

وبعد ، فقد افضنا في التعليق على ابيات الهجاء هذه ؛ لأن المعاني فيها كانت في غاية الوضوح عندهم ، في ايام عمر - رضى الله عنه - ولعلها ليست كذلك في ايامنا هذه .

جميل سعيد